المفاتيح المكسورة

رحلة البحث عن الذات والمشروع

د. مجدي سعيد

المفاتيح المكسورة /رحلة البحث عن الذات والمشروع

د. مجدي سعيد

الطبعة الأولى ، ٢٠١١

دار اكتب للنشر والتوزيع

القاهرة ، ١٠ش عبد الهادي الطحان ، المرج

موبايل : ٠١١٠٦٢٢١٠٣

E – **mail** : dar_oktob@gawab.com

المدير العام :

يحيى هاشم

تدقيق لغوي :

ضحي صلاح

رقم الإيداع : ٢٠١١/٢٢١٨

I.S.B.N:٩٧٨- ٩٧٧- ٤٨٨- ١٢٩- ٧

المفاتيح المكسورة

رحلة البحث عن الذات والمشروع

د. مجدي سعيد

الطبعة الأولى

٢٠١١



دار اكتب للنشر والتوزيع

إهداء

إلى والديَّ.. أمي وأبي.. أصحاب الفضل الأول عليَّ في هذه الرحلة

فمن أمي تعلمت الإصرار والدأب من أجل تحقيق الحلم

ومن أبي تعلمت صفاء القلب وصلة الأرحام.. .

وإلى زوجتي.. التي كانت لي نعم السند على مواصلة الرحلة

وإلى إخوتي وأهلي وعشيرتي جميعًا.. الذين كانوا لي الحضن الدافئ

وإلى كل من علمني حرفًا، أو أسدى إليّ نصحًا، أو مد إليّ يدًا بالعون

إليهم جميعًا أُهدي مسيرة حياتي

المفاتيح المكسورة.. لماذا؟

لماذا اخترت "المفاتيح المكسورة" عنوانًا لمسيرة حياتي؟ هل هو عنوان يائس، أو محبط؟ هل يعطي ذلك الانطباع لمن يقرأه للمرة الأولى، وبالنظرة المتعجلة.. ربما، لكنني لم أقصد أن أجعل من حياتي عُنوانًا للإحباط واليأس، إذًا لماذا جعلت من ذلك عنوانًا؟ لقد جعلت من المفاتيح المكسورة عنوانًا في الأساس تيمنًا برؤيا رأتها أمي لي وأنا أهُم بالدخول في أصعب مراحل رحلتي تلك.. مرحلة التحول.. والتردد والتشكيك والتشكك في الحلم.. مرحلة السنوات العجاف، التي يأتي من بعدها – في علم الغيب– أعوام فيها يغاث الناس وفيها يعصرون.. وأنا في بدايات تلك المرحلة إذ جاءها رسول الله يقول لها في منامها: هذان المفتاحان المكسوران هما ما يبحث عنهما "مجدي"، وكثيرًا ما حاولت تعبير تلك الرؤيا فثارت التساؤلات وانفتحت الاحتمالات، لكنني أبدًا لم أتوقف أمام التساؤلات أو الاحتمالات وإنما كانت تَمُر بخاطري وأنا أواصل طريقي: ما هما هذان المفتاحان المكسوران؟ هل هما انكساران في حياتي سيكون لهما ما بعدهما؟.. ربما، هل للرقم "اثنين" هُنا دَلالة عددية مباشرة.. أم دَلالة رمزية؟.. لا أدري، لكن ما صرت أؤمن به بعد كل تلك السنين: أننا في حياتنا نسير طويلاً

وكثيرًا.. نتعثر أحيانًا ونقوم أحيانًا أُخرى.. نحاول أن نفتح أبوابًا.. ظانين أن وراءها السعادة أو أن وراءها ما نبغيه في حياتنا، لكنها لا تنفتح.. وإذا أصررنا على فتحها وهو ما كانت تُمْليه طبيعتي الموروثة في الدأب والإصرار على فَتْحِ الأبواب المغلقة، وإذا لم تكن إرادة الله في أن تنفتح انكسرت فيها المفاتيح.. والتي تعلمت أنها إنما هي علامات لي حتى أنصرف بجهدي وَهَمي إلى أبواب أخرى.. يأتي من ورائها الخيرُ الذي أبغي، المفاتيح المكسورة إذًا هي علامات يرسمها الله لنا في طريقنا لا لتكسرنا كما انكسرت المفاتيح، ولكن لتوجهنا إلى طرق أخرى، وإنني لأتذكر في هذا المقام قول أبا بكر الصديق حين سُئِل: بِمَ عَرِفْت الله؟.. قال: "بنقض العزائم"، إذًا يرشدنا الله أحيانًا كثيرة إلى طرقنا ودروبنا في الحياة بنقض العزائم، وقد تعني الانكسارات لنا في مجالات أو مفاتيحنا المكسورة في أبواب ما.. انفتاحات في مجالات أخرى أو مفاتيح غير مكسورة في أبواب أخرى نجد فيها ومن وراءها سعادتنا واستقرارنا النفسي والروحي أكثر.. هذا ما تكشَّف لي مع تصاريف الله في أيامي وسنيني، كما تكشَّف لي أيضا صدق مقولة الأديب البرازيلي "باولو كويلهو" في رائعته "السيميائي" أو "ساحر الصحراء": "كل منا يعرف في مستهل شبابه ما هي أسطورته الشخصية، ففي تلك المرحلة من العمر يكون كل

شيء واضحًا وكل شيء ممكنًا، ولا يخشى الإنسان من أن يحلم ومن أن يسعى وراء كل ما يشتهي أن يفعله في الحياة. ولكن مع مرور الوقت تبدأ قوة غامضة في محاولة إثبات استحالة تحقيق أسطورته الذاتية (..) هي قوى تبدو سيئة، ولكنها في الواقع تعلمك كيف تحقق أسطورتك الذاتية، فهي التي تشحذ روحك وإرادتك لأن هناك حقيقة كبيرة في هذا العالم، فأيًا كنت ومهما كان ما تفعله، فإنك عندما تريد شيئا بإخلاص، تولد هذه الرغبة في روح العالم.. تلك هي رسالتك على الأرض (..) وعندما ترغب في شيء يتآمر الكون كله ليسمح بتحقيق رغبتك" أي إنه إذا آمن الإنسان بحلمه أو بأسطورته الذاتية وسعى لتحقيقه تحالفت الدنيا جميعًا من أجله.. وهكذا تحالفت المفاتيح المكسورة جميعًا.. من أجل تحقيق حلمي وأسطورتي الذاتية في أن أعيش مع الكتاب والقرطاس والقلم.



الفصل الأول

رحلة البحث عن الذات



أنا.. والناس والمكان

أسمع سائلاً يسألني: مَن تكون؟ من تكون حتى تكتب سيرتك الذاتية؟ يقفز إلى ذهني قول خير الناس "أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد"، لكن من أنا؟ أنا ابن امرأة أُمِّية فقيرة من أعماق الريف المصري، أمية.. نعم، وفقيرة.. نعم، لكنها ذكيّة وطموحة ودءوبة، كنا قضية حياتها -رحمها الله- عاشت رحمها الله إلى أن بلغت ثمانين عامًا، وتوفيت عام ٢٠٠٤ وهي ما زالت على إصرارها ودأبها أن تحقق النجاح في أبنائها ولأبنائها في الدنيا والآخرة، فغرست فيّ هذا الإصرار وذلك الدأب، وأنا ابن أب -رحمه الله- كان لا يحمل من الشهادات إلا الابتدائية القديمة، كان يعمل في آخر فترات عمله مديرًا للإنتاج بمرفق الأسمدة العضوية -شركة الأسمدة العضوية سابقًا - وكان قبل ذلك عاملاً بمصنع الشركة، عاش رحمه الله حتى وافته المنية عام ٢٠٠٧ وهو يصلي رحمه حتى آخر يوم من حياته، عاش لا يحمل في قلبه ضغينةً أو حقدًا لأحد من أهله أو من الناس مهما ظلمه أو أخذ ماله وحقوقه، ولا يحمّلنا أبدًا شيئًا من ذلك تجاه أهلنا وعشيرتنا، وهما- أمي وأبي- أقارب من عائلة "عاشور" أو العواشرة كما يقولون هناك في "الأسدية" بلدتنا التي تقع في أطراف مركز "أبو حماد" بمحافظة

الشرقية هناك بالقرب من مركز التل الكبير بمحافظة الإسماعيلية، هي عائلة كبيرة الحجم كثيرة الفروع ذات مكانة اجتماعية وإن لم تكن ذات ثروة كبيرة أو صولجان تكتسبه بالقوة والطغيان، وإنما كسبت مكانتها بحب الناس وتفانيها في خدمتهم جيلاً بعد جيل، وقد ولد أبواي وعاشا في تلك القرية، ورغم كبر العائلة ومكانتها- حيث أنها كانت وما زالت تحوز على منصب "العُمُدية"- فإنها من العائلات التي تتوزع بين شرائح الطبقة الوسطى الثلاث من ناحية الثروة المالية، عشنا وما زلنا في دفء تلك العائلة المتواصلة في أغلبها، لم نشهد ولله الحمد في داخلها أو بينها وبين غيرها إحنا ولا ضغائن.. ولا شحناء ولا بغضاء.. سلامًا مع النفس ومع الغير.

في عام ١٩٥٥ – حسب ما أعلم – نزح جدي لأبي ببعض أبنائه من الزقازيق – التي كان قد نزح إليها سابقًا لتعليم بعض الأبناء في المرحلة الثانوية – إلى القاهرة والتي كان نزوحه إليها استكمالاً لمسيرة التعليم الجامعي، والتعليم هو من أجَلّ ما كانت تقدره العائلة وتنظر إليه بعين الإكبار، فوالد جدي الأستاذ "عبد الحليم عبد العاطي" كان خريجًا لمدرسة "دار العلوم" في أوائل عهدها في أخريات القرن التاسع عشر، وجدي الحاج محمد سعيد كان عالمًا أزهريًا يجمع بين منصب العُمُدية والخطابة والإمامة بمسجد القرية الكبير، رحل الجد بأبنائه إذًا إلى القاهرة واصطحب معه أكبر أبنائه "أبي" وعائلته

لتكون عونًا له ولزوجه "ستي نبوية" في خدمة أشقائه في مراحل تعليمهم، وبقي البعض الآخر من أبنائه في منزل العائلة في القرية، وفي القاهرة سكنت الأسرة في البداية في حي القلعة لعدة شهور، ثم انتقلت إلى السيدة زينب وبالتحديد إلى منطقة بركة الفيل في عام ١٩٥٨ حيث ولدت شقيقتي الصغرى، وفي شقة العائلة بهذا المنزل والتي كانت تقع بالدور الرابع من المنزل رقم ٦ بحارة "حليم" المتفرعة من عطفة "حليم" والتي تتفرع بدورها من شارع "حليم" ولدت في عام ١٩٦١ وبالتحديد في عصر يوم الجمعة ٢٢ سبتمبر، لكنني قيدت في السجلات الرسمية بعد ذلك بيومين أي يوم ٢٤، وفي هذا الجو العائلي الكبير ولدت، ففي الحجرة الداخلية إلى اليسار حيث الشباك والبلكونة كان جدي وجدتي، وفي الحجرة التي تقابل الباب الرئيسي للشقة تزوجت عمتي "علية" والتي ما لبثت أن انتقلت إلى شقة أخرى فسكن في تلك الحجرة توأمها عمي الشيخ "عبد الله"، وفي الحجرة اليمنى الداخلية سكنت أسرتنا، أما في الحجرة اليسرى القريبة من الباب الرئيسي، والتي كان لها باب جانبي آخر فقد سكن فيها عمي الأستاذ "عبد الحليم" وعمي الأصغر "عبد الرحمن"، في وسط هذا الجو العائلي الدافئ نشأت وتشربت بحب تلك اللمة وهذا الدفء، ولم يقلل من هذا الإحساس ولم يفض تلك اللمة وفاة جدي عام ١٩٦٦، ولا وفاة جدتي عام ١٩٦٧، فقد بقي أعمامي بالبيت يدرسون ولم يفارقوا الشقة حتى تزوجوا أو سافروا للدراسة العليا أو العمل،

ولم تتحول شقة العائلة إلى شقة أسرتنا النووية إلا مع سفر عمي الأصغر ليلتحق بعمي "عبد الوهاب" في إنجلترا ليستكمل دراسته العليا في الهندسة هناك حيث بقي إلى الآن.

في شقتنا هذه التي تقع في هذا المنزل الذي يقع في نهاية الحارة، وفي وسط جيرة حميمة، وفي حي شعبي عريق هو حي السيدة زينب نشأت وتكوّن اثنا عشر عامًا من عمري، وإن نسيت كثيرًا من ذكريات تلك الفترة فلا أنسى لمة نساء الجيران في نهاية شهر رمضان من كل عام في إحدى الشقق لخبز كحك العيد سويًا، وإرسال الأبناء حاملين "الصاجات" إلى الفرن الإفرنجي الذي كان يقع عند تقاطع شارعي الحوض المرصود المؤدي إلى بركة الفيل، مع شارع قدري، في مقابل سينما "إيزيس" وحديقة الحوض المرصود، مع هؤلاء الأبناء وغيرهم من أبناء الحارة والعطفة والشارع نشأت ولعبت اثني عشر عامًا، كان شارعنا "شارع حليم" هو آخر شارع يتفرع من شارع الحوض المرصود يسارًا قبل أن ينتهي في ميدان بركة الفيل، وقبله كان يتفرع شارع "سلامة حجازي" يمينًا ويسارًا، ومن هذا الميدان كانت تخرج عدة حارات وشوارع، كان أحدها "لا أذكر اسمه" يتفرع يسارًا من منتصف الميدان، وفيه كانت توجد مدرستي الابتدائية "مدرسة حسن باشا طاهر"، وأمامها مدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية حيث كانت تدرس

أختي الصغرى "إيمان" التي كانت تكبرني بثلاث سنوات، وهي المدرسة التي كان يفصل حوشها عن حارتنا سور عال، وعلى ناصية هذا الشارع كان تقف عربة الفول والبليلة صباحًا حيث كنا نشتري الفول كل يوم، وعلى ناصيته أيضا كان يوجد معمل الطرشي الذي نشتري منه حاجتنا في رمضان، وفي مقابل هذا الشارع في الناحية الأخرى من الميدان كان يوجد عم "إبراهيم" بائع الفحم الذي كنا نستأجر منه مجلات ميكي وسمير القديمة بتعريفة "نصف قرش" أو نشتريها بقرش، وقريبًا منه كانت توجد مكتبة وخردوات "راشد" حيث كنا نشتري قصص الأطفال التي بدأت معها أول رحلتي في القراءة، وفي نهاية الميدان إلى اليمين كان يخرج شارع ضيق يؤدي إلى مسجد "حسن باشا طاهر" حيث تعلمت الصلاة واعتدتها خاصة في أيام الجمعة وفي رمضان، وإذا استكملت السير فيه مبتعدًا عن ميدان بركة الفيل كنت تصل إلى ميدان أحمد بن طولون، حيث مسجده الشهير بالقاهرة، وقبله على اليمين كنت تجد بائعًا ومؤجرًا آخر للمجلات القديمة لكنها كانت مجلات لبنانية في الأغلب من أمثال "سوبرمان" و"الوطواط" و"بونانزا" و"لولو".

أما في نهاية ميدان بركة الفيل إلى اليسار فكان يخرج شارع صغير آخر يؤدي بك إلى ميدان الحلمية الجديدة، حيث مدرسة المحمدية الإعدادية بنين التي كان مقدرًا لي أن أدخلها لولا انتقالنا إلى سكن آخر. كما كانت توجد مساكن الحلمية حيث "المستوصف" الذي أتت منه القابلة التي وَلَّدَت أمي، كما كان يوجد بائع الطوابع والآلات الموسيقية الذي طالما اشتريت منه بعض طوابعي التي بدأت هواية جمعها في تلك السن الصغيرة.

وإذا أعطيت ظهرك لميدان بركة الفيل وسرت تجد في منتصف شارع الحوض المرصود وعلى ناصيته اليسرى مع شارع سلامة حجازي مخبزًا إفرنجيًا وبائعًا للصحف طالما اشتريت منه مجلة "ميكي" أو "سمير"، أما إذا استكملت المسيرة إلى شارع قدري فكنت تجد سينما "إيزيس" أمامك، فإذا يممت يمينك إلى شارع بورسعيد وميدان السيدة زينب كنت تجد ظهر سينما "الهلال" على يمينك قبل نهاية الشارع، ومحل "سوبيا توتو" الشهير حيث السوبيا الشهيرة والعصير على اليسار، فإذا دخلت من هناك يسارًا وجدت إلى اليسار أحد فروع دار المعارف حيث اشترى لي أبي للمرة الأولى والأخيرة سلسلة من كتيبات "قصص الأنبياء"، و"القصص الدينية" التي كتبها الأستاذ محمد أحمد برانق، وإلى جوار الدار كنت تجد بعض المساجد القديمة، ومحلات الحلويات الشهيرة في الميدان، وأمامها

وفي منتصف الميدان كنت تجد نهاية شريط الترومواي القادم من العباسية والذي كان يوجد عنده "سور السيدة زينب للكتب القديمة والذي كان يشبه سور الأزبكية وإن كان أصغر منه حجمًا، ومنه اشتريت عددًا من الكتب القديمة، وعلى الرصيف المقابل كانت بعض محلات الحلويات الأخرى والملابس، وفي الجهة الأخرى من شريط الترومواي كان يوجد قسم السيدة زينب في المنتصف وإلى يمينه مسجد السيدة زينب، وبينهما شارع زين العابدين، وإلى يساره مدرسة محمد علي وبداية شارع الصليبة المؤدي لميدان ابن طولون، فإذا سرت جاعلاً القسم والمسجد إلى يسارك وصلت إلى بداية الشارع الذي توجد فيه سينما "الشرق" فإذا أكملت فيه وصلت إلى شريط قطار باب اللوق- حلوان، فإذا قطعته وصلت إلى شارع أمين سامي حيث سكنت عمتي "علية" هناك أمام مقر كلية دار العلوم القديمة وأمام مسجد "نبيهة يكن" حيث عمل زوجها الأستاذ "صديق" إمامًا وخطيبًا لفترة قبل سفرهم إلى الكويت، أما إذا جعلت السينما يسارك واتجهت إلى الأمام وجدت بداية شارع خيرت حيث مدرسة السنية الثانوية بنات يمينًا.

أما إذا سرت مع شريط الترومواي معطيًا ظهرك للمسجد والقسم وجدت الحلمية الجديدة، ومدرسة الخديوية الثانوية، فمدرسة البهية البرهانية الإعدادية للبنات حيث تعلمت أختي "إيمان"، ثم الجمعية الخيرية الإسلامية على يمينك، ثم ما تلبث أن تصل لميدان باب الخلق ومديرية أمن القاهرة يمينًا، وأمامها

المتحف الإسلامي يسارًا، كانت هذه حدود حياتي في سنواتي الاثنا عشر الأولى منها، حياة ثرية ومفعمة بالحيوية.

***

وفي عام ١٩٧٣ وبالتحديد يوم الأحد ١٢ أغسطس منه انتقلت أسرتنا للسكنى في مترل امتلكه عمي "عبد الحليم" بعد فترة إعارة كمدرس للجغرافيا في ليبيا، وكان هذا السكن في منطقة "حدائق حلوان" على شريط القطار بين باب اللوق وحلوان، كانت تلك المنطقة في ذلك الوقت تختلف عن منطقة السيدة زينب في كونها منطقة جديدة هادئة صغيرة تشبه القرية التي يعرف الناس فيها بعضهم البعض، وقبل الانتقال كان إخوتي الكبار قد تخرجوا، فشقيقي الأكبر"محمد" كان قد تخرج عام ١٩٦٩ في المعهد العالي الصناعي بالمطرية "كلية تكنولوجيا المطرية جامعة حلوان فيما بعد" ثم دخل الجيش ضابطًا في الدفاع الجوي، ثم استُعفي منه قبيل الحرب بعدة أشهر لأسباب طبية ثم تزوج عام ١٩٧٦، أما شقيقتي الكبرى "آيات" فقد تخرجت في كلية البنات بجامعة عين شمس عام ١٩٧٣ وعملت مدرسة في الزقازيق حيث تزوجت عام ١٩٧٤، وفي هذا المنطقة استكملت تكويني وتعليمي الإعدادي والثانوي، أولاً في مدرسة المعادي الإعدادية بنين التي انتهيت منها عام ١٩٧٦، ثم في مدرسة المعادي الثانوية العسكرية التي انتهيت منها عام

١٩٧٩. بعد الأسبوع الأول من دراستي بالمدرسة الإعدادية قامت حرب أكتوبر/ رمضان عام ١٩٧٣ فأمضيت شهورًا بالمنزل، ثم عدت ولم أتعرف إلى أحد بها بعد، ومضت السنون وأنا أتعرف على عدد من الزملاء والأصدقاء في فصل المتفوقين بالمدرسة الذين كان سكنهم يمتد من دار السلام شمالاً إلى حدائق حلوان جنوبًا، وشيئًا فشيئًا بدأت أندمج مع تلك الصحبة، وإن كان حنيني إلى عشرة وصحبة ودفء السيدة زينب ما زال يعاودني حينًا بعد آخر حتى خفت لمـــا لم أجد تواصلاً من صحبتي هناك، وبمرور السنين تعودت على المنطقة وأهلها وأماكنها، وإن لم يأت الاندماج إلا حينما دخلت إلى الجامعة وبدأت الانخراط في فعاليات الصحوة الإسلامية بالجامعة والمنطقة، مما فتحي على عالم واسع من المعارف هنا وهناك كان فيه الغناء عن معارفي وحنيني القديم. وقد طالت بي الإقامة في هذه المنطقة لما يزيد قليلاً عن ٣٤ عامًا صارت لي بها ألفة وصحبة كان عسيرًا معها أن أفارقها وأغير سكني للمرة الثانية في حياتي إلى منطقة نائية في مدينة السادس من أكتوبر تجافي ما يطبعني من حب الدفء الاجتماعي والألفة بالناس والمكان.

قبل الانطلاق.. خيوط التكوين

هي رحلة طويلة حقًا استغرقت من عمري ٣٩ عامًا ظللت فيها أبحث عن ذاتي، أتعرف عليها، أجربها في دروب الحياة، بين الحين والحين كنت أظن أنني وجدتها أخيرًا فأصيح صيحة أرشميدس: وجدتها... وجدتها، وما ألبث أن يخيب ظني، لكنني أزعم الآن أنني وجدتها حقًا، دون خيبة ظن.. فكيف كانت الرحلة وما هي معالمها؟ هذا ما أحاول أن أجيب عنه في السطور التالية.

أظن أنه من المفيد لفهم تلك الرحلة تتبع عدد من الخيوط التي نسجت أشرعتي التي انطلقت بها في رحلتي، التي تصنع بتشابكها معًا أسسًا لفهم نسيج حياتي وتحول مساري فيها.

الخيط الأول: كتاب وقلم

هو خيط طويل يسير بين سطور الكلمات المقروءة وعلى أسنة الأقلام التي أمسكت بها أحاول أن أخط ما يعتمل في عقلي وما تجيش به نفسي، ولا أعرف كيف كانت بداية الخيط، كل ما أستطيع أن أقوله إنه بدأ منذ عرفت كيف أفك طلاسم الكلمات، منذ أن تعلق قلبي بالأوراق والسطور، في رحلة طويلة من حب القراءة والكتابة الذي لم يفارقني لحظة،

بدأت بقصص الأطفال التي كنت أشتريها أو تشتريها لي أختي الكبرى، التي أذكر لها أنها كانت أول من شجعني على القراءة وعلى الإمساك بالقلم وكتابة القصص التي كنت أعيشها في مخيلتي وأصطنعها بين شخصياتي التي كنت أتخذها من قطع حجارة البطاريات "التورش" الفارغة التي كنا نستخدمها في الراديو المنزلي، وهي كل ما كنت أمتلكه من لعب في تلك الفترة، واستمرت رحلتي مع حب القراءة، فترة تعلقت فيها بمجلات الأطفال وعلى الأخص مجلة "ميكي" التي كنت أستأجرها من بائع الفحم في ميدان بركة الفيل بحي السيدة زينب حيث ولدت، أو كنت أدخر لها مصروفي اليومي من الملاليم الخمسة التي كنت آخذها كمصروف يومي، وما زلت أذكر كيف كنت أسير من بيتي في حارة حليم إلى قرب باب الخلق أبحث عن مجلة ميكي حين أتأخر في شرائها، وما زلت أذكر كيف اقترضت مرة من البقال الذي كان يفتح على ناصية عطفة حليم ثلاثة قروش لأشتري المجلة وكيف اقترضت مرة أخرى خمسة قروش من جارتنا لأشتري المجلة مع هديتها، وكيف نلت عن هذه المرة "علقة" من أمي التي كانت تكره الاقتراض.

ثم انتقلت بعد ذلك في نهاية مرحلتي الابتدائية إلى مجلات أخرى كانت تعد في ذلك الوقت مجلات للفتية لا للأطفال، وكنت أؤجرها أو أستعيرها من بعض الزملاء مثل مجلات "الوطواط" "وبونانزا" وسوبرمان" اللبنانية، أو مجلة تان تان التي كانت تصدر في مصر وكان ثمنها غاليًا عليّ إذ كان يبلغ عشرة قروش ما كنت أستطيع امتلاكها إلا نادرًا، واستمر حبي للقراءة يكبر معي وما زلت أذكر أول كتاب للأطفال وكان قصة من قصص الأنبياء لمحمد أحمد برانق التي كانت تصدرها دار المعارف، وذلك عندما بلغت المرحلة السادسة الابتدائية وأردت أن أُفْطَم عن مجلة ميكي. واستمرت رحلتي مع القراءة في المرحلة الإعدادية مع الألغاز وبعض كتب الكبار التي بدأت بكتاب"إعصار من الشرق" لثروت عكاشة. وفي تلك الفترة بدأت محاولاتي الفاشلة في كتابة الشعر، لكنني أظن أن أهم ما خطه قلمي في تلك الفترة هو مجموعة من الخواطر، تبلغ الواحدة منها سطرين أو ثلاثة، بدأت في كتابتها منذ أن كنت أبلغ الرابعة أو الخامسة عشرة من عمري واستمرت معي طوال فترة الدراسة الثانوية، وقد أسميت تلك المجموعة "ثمار العقل وخواطر الفكر"، وقد كانت أمنيتي في ذلك الوقت أن أنشرها في كتاب. في تلك المرحلة (ما بين نهايات الدراسة الإعدادية وبدايات الدراسة الثانوية) أيضا انتقلت إلى قراءة الروايات

والقصص القصيرة والشعر وبعض الكتب في الأدب والتاريخ والفكر الإسلامي وكتب أنيس منصور الذي أعجبت بأسلوبه أيما إعجاب، وبعض تلك الكتب كنت أشتريه من سور الكتب القديمة بالسيدة زينب، والبعض الآخر كنت أشتريه جديدًا من بعض النفحات المالية التي كانت تأتيني على فترات متباعدة مع الأعياد أو زيارات الأقارب القادمين من الخارج، وفي تلك الفترة أيضًا كانت لي محاولاتي في كتابة القصة القصيرة التي أذكر أنني أرسلت إحداها إلى مجلة صباح الخير وكانت بعنوان "حب يحطم ثم يبني" على ما أذكر، وقد جمعت قصصي القصيرة تلك وكتبتها على الآلة الكاتبة وأعددتها لدخول مسابقة نادي القصة إلا أن متغيرًا دخل في حياتي في أواخر المرحلة الثانوية غير من مسار حياتي واهتماماتي في القراءة وهو متغير التدين الذي جعلني أزيد من مساحة القراءة في الفكر الإسلامي أكثر، وجعلني في البداية أمسك عن الكتابة لفترة غير أنني ما لبثت أن عاودت الكتابة في قالب آخر في مرحلتي الجامعية. كانت الكتابة -حين عادت- تأخذ في الغالب في شكل خواطر تقترب في حجمها من حجم الأعمدة الصحفية المشهورة كـ"مواقف" أنيس منصور و"فكرة" مصطفى أمين، وأسميتها "صور" وكانت تدور في مجملها حول مشاعر داخلية مختلفة ووضعت لها عنوانًا ثانيًا "صور داخلية"، أو حول

مشاهدات وانطباعات عن الحياة من حولي وأسميتها "صور خارجية"، ولكنني كنت لا أستهدف بها النشر، كنت أكتبها لنفسي فقط، وكنت أعتبر ذلك من مبادئي في تلك المرحلة حينما أحسست أن سبل النشر تكاد تكون مغلقة لمبتدئ مثلي، أو أنها تحتاج لطرق ودروب ومسالك إلى المعارف من بين الكبار، ولم يكن لمثلي أن يعرف لأحد منهم سبيلاً، وقد وضعت لنفسي في الكتابة في تلك الفترة مبدأ آخر وهو عدم الالتزام بشكل معين في الكتابة؛ إذ أنني كنت أعتبر أن مادة الكتابة ما هي إلا دفقة شعورية أو فكرية ينبغي لها أن تظل حرة تتشكل كيفما أتت، إن شعرًا فشعر، وإن قصة فقصة، وإن خاطرة فخاطرة وهكذا.

وفي أخريات تلك المرحلة الجامعية بدأت لأول مرة أكتب المقال السياسي، تجاوبًا مع المتغيرات وكنت في الغالب أكتبها أيضًا لنفسي، وقد جمعت ذلك كله من فوق قصاصات الورق التي كانت تصادفني فأكتب فوقها ما يخطر ببالي، جمعتها جميعًا في كشكول كبير ما زلت أحتفظ به، ومن بين الطرائف التي أذكرها عن مراحلي المبكرة مع القراءة أن شقيقتي الكبرى وقد تخصصت في دراسة علم الأحياء أرادت أن تشجعني على قراءة الكتب العلمية فاشترت لي كتابين من سلسلة علمية كانت تصدرها دار المعارف للناشئة أحدهما حول المجموعة الشمسية والثاني . ول النمل، لكنني أبدًا لم أفلح في إتمام أي منهما، فقد

كنت أجد نفسي دائمًا منصرفًا إلى قراءة ما أحب من المجلات والقصص.

الخيط الثاني: حلم تجسد في علم

هو خيط "المثل الأعلى" الذي يمثل مكونًا هامًا في صياغة كيان الإنسان، وقد كان مصدره بالنسبة لي مستلهمًا من الخيط الأول، وقد كان أول مثل أعلى لي هو عمي الأصغر "عبد الرحمن" والذي كان يكبر شقيقي الأكبر بستة أشهر فقط، وكان طالبًا بكلية هندسة القاهرة حين وعيت الحياة حتى سافر للدراسة والعمل والحياة في بريطانيا، وكان شخصًا متعدد المواهب، فقد كان يمتلك حقيبة حديدية تمتلئ بالموتورات والمحولات وغيرها من تلك الأشياء الهندسية التي لم أكن أفهمها حيث كنت في المراحل التعليمية الأولى من حياتي، وقد كان عمي يطلق عليها "شنطة الأبحاث"، كما كان يكتب الشعر ويحب قراءته، إضافة إلى حبه للرسم وقد كان يجيد رسم البورتريهات بالفحم، وما زلت أذكر جيدًا أنني حاولت كثيرًا أن أحاكيه في كتابة الشعر أو في رسم الوجوه بما تبقى لنا من أصابع الفحم التي تركها بعد سفره، أو حتى باستخدام الأقلام الرصاص والجاف، وقد كانت بداياتي مبشرة في هذا المجال، كما كان عمي يهوى الموسيقى سماعًا وما زلت أذكر عشقه

لأغاني عبد الوهاب القديمة وأغاني سيد درويش والتي كان يشغلها من أسطوانات على جهاز البيك آب، وربما يفسر ذلك عشقي أيضا لأغاني عبد الوهاب القديمة وأغاني سيد درويش، كما كان عمي عازفًا للموسيقى على العود والناي، وهو الأمر الذي لم يستهوني لسبب لا أعرفه، وفي المجمل فإن مثال "العم" هذا كان أقوى النماذج والأمثلة تأثيرًا في حياتي ومسارها وإن لم أدرك أنا في حينها قوة ذلك التأثير، و لم يدرك عمي نفسه تأثيره ذلك، وقد زارني مرة في الأعوام الأخيرة ليعزيني في وفاة والدتي - وقد كانت بمثابة أم ثانية له — فلما ذكرت له الأمر استغرب من أن يكون له ذلك التأثير.

المثل الأعلى الثاني كان الكاتب الصحفي أنيس منصور، الذي قرأت عنه كلامًا ملهمًا في بواكير حياته في مجلة ميكي وتحديدًا حول نهمه للقراءة والمعرفة، والذي جاء فيه أنه يجيد من اللغات سبعًا، وأنه يمتلك مكتبة بها ٢٧ ألف كتاب بدأها بشراء مكتبة قديمة ملأت حمولة عربة كارو، وقد دعم في هذا الكلام حب الكتاب واقتنائه وتكوين مكتبة كبيرة مثل مكتبته، كما أنني ظللت أعيش حلم تعلم اللغات الكثيرة والسفر حول العالم كما فعل، وقد استمر حبي لأنيس منصور وشغفي بكتاباته معي خلال مرحلة الدراسة الإعدادية والثانوية فاقتنيت وقرأت بعضًا من كتبه، وكنت أتتبع ما يكتب في جريدة الأخبار أولاً، ثم في الأهرام في عموده اليومي "مواقف".

المثل الأعلى الثالث كان التوأمين مصطفى وعلي أمين اللذين قرأت عنهما كتابًا وأنا في العام الأول من المرحلة الثانوية ضمن قراءاتي في تاريخ الصحافة المصرية فعشت معهما حلم الصحافة في صورتها الوردية التي رسمتها لها من خلال قصة كفاحهما في مجال الصحافة منذ كانا فتيين صغيرين إلى أن أسسا جريدة أخبار اليوم.

المثل الأعلى الرابع كان مثلاً أعلى على البعد، كان كالنجم البعيد، بعدًا في المسافة، وعلوًا في المكانة، وربما خفوتًا في التأثير، وهو عمي "عبد الوهاب" والذي سافر في بعثة إلى إنجلترا بعد تخرجه في كلية دار العلوم وكان ترتيبه الأول على دفعته، فكرمه الرئيس عبد الناصر في عيد العلم، ثم سافر في بعثة للدراسة العليا وأنا بعد في شهوري الأولى فلم أدرك سفره، غير أنني ما أزال أذكر ظلالاً من عودته في إجازات، ففي إحدى المرات جاء الأهل من القرية لاستقباله وكان الوقت ليلاً وذهبنا إلى المطار القديم في ذلك الوقت في النصف الأول من عقد الستينيات وذهبنا صغارًا وكان هناك عند المطار مرتفع أخضر ظللنا نلعب ونلهو عليه وحوله حتى جاء وعدنا إلى بيت العائلة في السيدة، والمرة الثانية كنت محمومًا ومريضًا، وكان عائدًا في إجازة له وكنت أتوق إلى الذهاب مع الكبار لاستقباله لكنهم منعوني من الذهاب لمرضي، ولكنني ما أزال أذكر روايات أمي عن جده واجتهاده وحصوله على الثانوية العامة والأزهرية في

وقت واحد، وكيف كان يذاكر بكل جد، وإذا احتاج إلى النوم كان يطلب من جدتي أن توقظه بعد خمس دقائق فإذا نادته انتفض من نومه ليعاود المذاكرة، وكيف كان يحمل أختي الصغرى وقد كانت في بدايات كلامها ليدرس من خلال ذلك عمليًا بعضًا مما درسه في علم الصوتيات، وغير ذلك من الحكايات التي كنت أسمعها، وكانت بمثابة الإلهام لي ودرسا وغرسًا في اللاوعي حول العلم والمعرفة، والجد والاجتهاد والدأب.

الخيط الثالث: في فصول الدراسة

وهو خيط علاقتي بالتعليم ما قبل الجامعي وتوافقي معه وتوافقه معي، وقد بدأت مراحل التعليم بالذهاب إلى حضانة تقع في شارع الحوض المرصود بالسيدة زينب، إلا أنها ليست بذات أهمية تذكر في مسيرتي التعليمية التي بدأت حقًا في مدرسة حسن باشا طاهر الابتدائية بالقرب من ميدان بركة الفيل، ثم تواصلت في مدرسة المعادي الإعدادية القديمة فمدرسة المعادي الثانوية العسكرية، وقد كانت لي ملاحظة أساسية عن تلك المرحلة التعليمية دونتها ضمن خواطري الأولى والتي بدأت على ما أذكر في العام الثالث من المرحلة الإعدادية، وما زلت أحتفظ بها ضمن مدوناتي في تلك الفترة، قلت فيها: "لم تدع الطرق التعليمية التلقينية مجالاً لتحليق الفكر، وإنما تركت

الببغاوية تجمح"، وأنا أتأمل الآن في تلك الكلمات التي كتبتها في تلك الفترة أراني أجد فيها أغلب ما أريد أن أسجله هنا من ملاحظات أحسها الآن، ففي تلك المراحل لم أحس أن هناك شيئا نــمّى عندي هواياتي وبخاصة القراءة والكتابة والرسم، ولا أذكر مثلاً اسم أستاذ أثّر فيّ في تلك المجالات، وظل الأمر مجرد ميل شخصي دعمه بعض التشجيع من شقيقتي الكبرى كما ذكرت، وربما أيضا التحدي الذي كان يمثله ضيق ذات اليد، والشعور بلذة تحقيق شيء أحبه من مصروفي الخاص القليل، وبإصراري على تحقيقه. بل إنني أتعجب كيف أنني كنت أحب الأدب من شعر ورواية وقصة قصيرة، و لم أستطع أن أحب اللغة العربية، وعلى الرغم من إدراكي لأهمية النحو والبلاغة وما إليهما من علوم العربية إلا أنني لم أتوافق مع المناهج الموضوعة لها، خاصة تلك الأمثلة السمجة التي كانوا يضربونها لنا والتي لم تكن لتساعد على أن تظل قواعد النحو والصرف عالقة بالأذهان.

في تلك المرحلة، وبالذات في السنة الأولى الثانوية كانت لي تجربة تعد هي الأولى والأخيرة، إذ اشتركت مع ثلاثة من الزملاء الأصدقاء في إعداد مجلة حائط باسم "القلم"، بمبادرة خاصة منا، صدر منها أربعة أعداد تولى كل واحد فينا تحرير عدد منها، وإن اشتركنا جميعًا في الكتابة في الأعداد الأربعة

بأشكال صحفية مختلفة، من مقال افتتاحي، ومن حديث أو آية قرآنية، ومن مقال رأي، ومن شعر وقصة... إلخ، وانتهت تلك المجلة نهاية مأساوية بقيام أحد الطلاب بتمزيق العدد الرابع بمطواة اعتراضًا على أحد الأبواب المنشورة الذي كان يحتوي على بعض النكات التي كان في بعضها سخرية من طلبة طب الأزهر، نقلناها من مجلة طلابية مطبوعة كانت تصدر في كلية علوم القاهرة، ويبدو أن أصحابها كانت لهم بعض التوجهات السياسية، ولكننا نقلناها بكل براءة، فكان فيها نهاية تجربتنا تلك، ومرة أخرى لم يكن لأي أستاذ بالمدرسة دور في هذه المبادرة، بل إننا نلنا لَومًا على المادة التي مزق الطالب المجلة من أجلها من أستاذ اللغة العربية.

كنت طوال مسيرتي التعليمية متفوقًا في عدد من المواد الدراسية المتباينة، فقد كنت متفوقًا في الرياضيات والعلوم والمواد الاجتماعية، ولكنني لم أكتشف ميلي الشديد للتاريخ مثلاً كامتداد ربما لحبي للأدب من قصص وروايات إلا بعد انتهاء تلك المراحل التعليمية، وعدم الاكتشاف هذا ربما كان نابعًا من الأسباب السابق ذكرها، وفي المرحلة الثانوية كنت أميل للدراسة في القسم الأدبي، لكنني لقيت معارضة شديدة من المنزل على مرحلتين، الأولى كانت أثناء الإجازة الصيفية بعد عامي الأول بالمدرسة الثانوية وكانت زعيمة المعارضة شقيقتي الكبرى، وذلك على اعتبار أن الدراسة الأدبية هي للبنات

وليس للبنين وأنني أستطيع أن أجمع لاحقًا بين حبي للأدب ودراستي العلمية، واستسلمت في النهاية لهذه الإرادة المنزلية، وقد حاولت تصحيح الوضع بعد أسبوعين من العام الثاني من المرحلة وهو عام تحديد التخصص، وذلك بعد مناقشة مطولة مع الأهل، إلا أنني عدت في نفس اليوم، حيث إنني نقلت من فصل المتفوقين في القسم العلمي إلى فصل عادي في القسم الأدبي فوجدت أنهم قد قطعوا شوطًا كبيرًا في دراسة اللغة العربية، ووجدت أن الزملاء من مجموعة دراسة القسم الأدبي في حصة اللغة الألمانية قد غافلوا المدرس، وكان عددهم قليلاً، فكانت حصتهم في المكتبة وليس في الفصل، قد غافلوه حين خرج لشأن ما و"زوغوا" من الحصة؛ لذلك فقد سارعت بالعودة للقسم العلمي ولفصل المتفوقين في نفس اليوم خوفًا من العاقبة ومن الشماتة أو التأنيب المتوقع من الأهل إذا قدر لي ولم أستمر في تفوقي، وقد كان ذلك أحد المحاذير التي وضعوها في طريقي، وفي العام التالي الثالث، كانت أمنيتي ما زالت هي دخول كلية الإعلام، إلا أنني تفوقت كالعادة وقد كانت أمنية أمي أن أدخل كلية الطب وأصير طبيبًا مثل ابن عمي ومنافسي التقليدي، وقد كانت أيضا مناقشة حامية تدخلت فيها أطراف عائلية أخرى؛ ولذلك لم أصمد في وجه تلك الاعتراضات ورضخت في النهاية لرغبة الأهل في دخول كلية الطب، وهو

ما أعتبره الآن ضعفًا مني. إذ كان الأمر يستوجب الإصرار على حلمي، ولكن قدر الله وما شاء فعل. فلولا ذلك لما كانت أشياء كثيرة في حياتي قد حدثت، ولولا ذلك لما كان هذا المقال؛ إذ كنت سأصبح صحفيًا عاديًا ليس في قصته ما يستحق التساؤل والالتفات. وبدأت الرحلة من هنا....

بداية الرحلة.. في كلية الطب

كان ذلك عام ١٩٧٩ بالدراسة التمهيدية في كلية العلوم، التي كان من المفترض أن تستغرق عامًا واحدًا، إلا أنها استغرقت مني عامين لأسباب منها رفضي لمحتوى منهج الفيزياء على وجه الخصوص الذي كان منهجًا لا علاقة له بدراستنا اللاحقة في كلية الطب، ومن تلك الأسباب أيضا صعوبة النقلة الكبيرة من الدراسة في المرحلة قبل الجامعية، والدراسة في كلية العلوم باللغة الإنجليزية وبالمصطلحات العلمية في مواد الدراسة الأربع، ومن ثم فقد مثلت عائقًا بالنسبة لي عن تتبع المحاضرات أولاً بأول، ناهيك عن التحضير للدروس والمحاضرات القادمة، ومعدل وكميات المواد الجديدة التي تعطى، وفي ظل وجود عائق اللغة عائقًا إضافيًا عن الملاحقة، إضافة إلى ذلك أن جو الحرية غير الملزم بحضور المحاضرات مَـثَّل إغراءً لي على "التزويغ" خاصة مع عدم تساوي قدرات الأساتذة المحاضرين في الشرح وتوصيل المعلومة ومن ثم ضجري ببعضهم، ومن ذلك أيضًا انخراطي في فعاليات الاحتجاج التي كانت تنظمها الحركة السياسية الإسلامية المعارضة في الجامعة، والتي كانت تمثل إغراءً آخر لشخص مُسيَّس مثلي، كل تلك العوامل مجتمعة أدت إلى رسوبي في مادتي الفيزياء والكيمياء وبقائي لمدة عام

آخر في كلية العلوم. ومما يذكر هنا أنني حاولت للمرة الثالثة تصحيح المسار والتحويل إلى كلية الإعلام بعد الرسوب، إلا أن زملائي في الكلية أثنوني في هذه المرة أيضًا عن ذلك، وقد استجبت لهم ربما أيضًا لعدم رغبتي كشخص تعود على التفوق أن أخرج مهزومًا من الكلية، وفي العام التالي تغير الوضع في مادة الفيزياء التي كنت أراها لا تمت لدراسة الطب بصلة، وكأنهم كانوا يسمعون شكواي؛ إذ إنهم قد أتوا بمنهج جديد غاية في اللطف والظرف بالنسبة لي وهو منهج الفيزياء الحيوية الذي يتناول علومًا فيزيائية ذات صلة بالطب، وهو ما ساعدني كثيرًا على تجاوز تلك السنة، إذ لولا ذلك لما جاوزتها بالمنهج القديم الكريه، بل إنني لا أبالغ إذا قلت إنني ولأول مرة ذاكرت الفيزياء بحب وأجبت في امتحانها بحب.

بعدها بدأت رحلتي في كلية الطب ذاتها، والتي يمكن أن نقسمها إلى مرحلتين: المرحلة الأولى وتشمل الثلاث سنوات الأولى، وهي مرحلة اندمجت فيها في وهم الطب، لكنني عدت فيها إلى القلم والكتابة بخواطر صور وبعض القصص القصيرة. أما المرحلة الثانية فبدأت بإفاقتي من هذا الوهم على ألم الإحباط لحصولي على تقدير جيد فقط في نهاية السنة الثالثة، والتي بذلت فيها مجهودًا لكي أحصل على تقدير جيد جدًا، واستمرت هذه المرحلة حتى نهاية السنة الخامسة في الكلية، وفي تلك المرحلة

بدأت أشعر بالملل والضجر الشديدين من الكلية، والرغبة والحنين للعودة إلى حلم الصحافة الجميل، مع تأجيل التنفيذ لحين إتمام الدراسة بالكلية.

الدراسة بالكلية عامة، وفي السنتين الأخيرتين الإكلينيكيتين بصفة خاصة تعتمد إضافة للمحاضرات والدروس العملية العامة، على ما يعرف بالدروس والمجموعات الخاصة، أي كلية الطب الخاصة التي يدخلها الموسرون والأثرياء كمعين أساسي على الفهم والتفوق، ويأتون بعد ذلك للكلية للتسلية، وإضاعة الوقت، وقتهم ووقت زملائهم من غير القادرين على دخول تلك الكلية الخاصة، وقد كنت واحدًا من هؤلاء الطلاب غير القادرين.

وتتسم الدروس والمحاضرات العامة بالزيادة العددية للطلاب، حيث يكون طلاب الدفعة ألف طالب في المتوسط، ومن ثم كان العدد في قاعات المحاضرات كبيرًا – وهذا ربما لا يمثل مشكلة كبيرة – وكانت مجموعات الدروس العملية كبيرة أيضًا، وهنا المشكلة، فكلية الطب ليست كلية نظرية حتى يغني حضور المحاضرات عن الدروس العملية، بل إن الأساس فيها هو الدرس العملي، ومع العدد الكبير يكون الزحام، بل والتزاحم الذي يكشف عن الخصائص النفسية للناس، فالبعض القليل من

الناس يشعر بمن حوله من الناس في الزحام، والبعض الآخر الغالب لا يشعر بالناس من حوله، ولا يحس إلا بنفسه.

هناك ظاهرة معروفة ومشهورة في كليات الطب في مصر بصفة خاصة، وهي ظاهرة توريث مقاعد التدريس بالكلية! والتي تتخذ من الامتحانات الشفهية مدخلاً لها، فيظهر النبوغ والتفوق الفجائي الطفري على أولاد أساتذة الكلية، وأولاد الناس الكبار، خاصة في السنوات الأخيرة من الدراسة، حيث تكون أماكنهم في التعيينات في انتظارهم بعد التخرج، ومن لا تفلح الحبوب المقوية في تحويله لطالب متفوق منهم، يتم تفصيل بعض الأماكن لهم ليشغلوها.

في الكلية تكرر الموقف الذي كان بيني وبين اللغة العربية في مراحل التعليم ما قبل الجامعي، إذ أحببت مادة الصحة العامة كموضوع ولم أحبها كمنهج درسته ولذلك كان تقديري فيها "مقبول"؛ إذ رأيت فيها مادة مثالية لشخص مثلي حتى أوفق فيها بين ما أحبه والواقع الذي وجدت نفسي فيه، فهي علم بيني، يجمع بين الطب وبين علوم أخرى، وهي أيضا مخرج جيد من قمقم الطب الضيق إلى عالم أرحب؛ إذ إنني كان يضيق صدري ولا ينطلق لساني من مجرد تذكر الدنيا الضيقة التي حصرت نفسي فيها، عالم مغلق على نفسه ليس له علاقة

بالدنيا وما يجرى فيها، خاصة أنني أرى أمامي نماذج من البشر من طلاب الطب والأطباء هم أشبه بالصناديق المغلقة الجوفاء، قد أغلقوا عقولهم بالضبة والمفتاح كما يقولون عندنا وأصموا آذاهم وأغلقوا أعينهم، لا يفقهون ولا يرون من الدنيا إلا دنياهم الضيقة، هذا إن حدث وفقهوها، إذا لم يكونوا يخدعون أنفسهم أو الآخرين في ذلك.

انتهت فترة دراستي بالكلية بحصولي على البكالوريوس بتقدير مقبول، وهذا التقدير الكريه، لمن لا يعرف مصير حامليه، هو بمثابة الحكم بالإعدام، فلا أنت تستطيع اختيار مكان العمل ولا تخصصه، ولا تستطيع التقدم للحصول على الماجستير، ولا حتى تستطيع الدراسة العليا أو حتى "الواطية" في أي تخصص آخر غير الطب، وليس أمامك من سبيل إلا أن تضع نفسك أمام قطار سريع، وإن كنت أشك أن هذا سينجح أيضًا لو حدث، فلربما كانت التعليمات أيضًا أنه إذا جاءك حامل هذا النيشان "مقبول" فلا تدهسه، ولا تقربه إنه نجس. وهذا في الحقيقة مصير عجيب لهؤلاء التعساء البؤساء، إذ إهم أولى الناس برفع مستواهم من خلال الدراسات العليا، لا بغلق الباب أمامهم، وهم أولى الناس كذلك بتركهم يغيرون مسارهم في كليات أخرى من باب إعطاء الفرصة للنجاح في مجال آخر، أو حتى من باب التخلص منهم. وربما كان هذا هو المفتاح المكسور الأول الذي كنت أبحث عنه، إذ إن أمي في

مرحلة لاحقة من رحلة التحول وكانت مرحلة ضيق، رأت لي رؤيا إذ جاءها في المنام من أعطاها مفتاحين مكسورين قائلا لها هذان هما المفتاحان اللذان يبحث عنهما مجدي، ولا أذكر هل كان ذلك هو النبي أم لا، إلا أن تلك الرؤيا ظلت عالقة بذهني منذ لحظتها، وأنا أبحث عن تفسير لها، وأزعم أنني أخيرًا وجدته.

في خضم الرحلة..

مرحلة التحول فيما بعد الكلية

تبدأ هذه المرحلة ببداية سنة الامتياز في مارس ١٩٨٧ وتنتهي بتوقف القلم عن الكتابة هنا -أي بالمرحلة التي أعيش تفاصيلها الآن-.

وفي تلك المرحلة تقلبت بين عددٍ من الوظائف والأعمال الكثيرة، سواء في دنيا الطب أو خارجها لا يمضي عام دون أن يكون هناك مكان عمل جديد، كما حاولت الدخول في كثير من مشاريع الدراسة التي تعدل المسار، وبين الوظائف ومشاريع الدراسة طرقت العديد من الأبواب وسرت في كثير من الاتجاهات، في محاولة للرسو على شاطئ أجد فيه نفسي فتسكن.

وتلك المرحلة يمكن أن تقسم إلى ثلاث مراحل فرعية:

المرحلة الأولى: وتنتهي في شهر نوفمبر ١٩٩١ بالاستقالة من وزارة الصحة.

المرحلة الثانية: وتنتهي في شهر إبريل ٢٠٠٠ ببداية العمل في موقع إسلام أون لاين.نت، وقد كانت مرحلة من أصعب

مراحل حياتي شاب فيها شعري، من علو الأمواج وتقلب الأيام، وميل سفينة الحياة بي يمينًا ويسارًا، كنت أمضي كل عدة شهور فيها في عمل جديد، أو أمضي فيها الشهور بلا عمل، حتى كدت أظن أن العيب فيّ، وأن الفشل من نصيبي، وأن قراري بالتحول وحرق السفن كان قرارًا خاطئًا.

المرحلة الثالثة: وتنتهي بالمرحلة الحالية وهي مرحلة ما بعد الأنثروبولوجيا، وقد أسميتها مرحلة إحراق السفن، في طريق اللاعودة إلى ممارسة الطب.

أعوام من العمل الطبي

بعد أن تخرجت اخترت أن أقضي سنة الامتياز في مستشفيات قصر العيني أملاً في أن أتعلم شيئًا عمليًا مفيدًا، فقد كنت أظن أنها أفضل مكان يمكن أن أتعلم فيه، وأنها أفضل من مستشفيات وزارة الصحة في ذلك، ومضت شهور السنة، وكل ما أتعلمه هو ما يسمى بالـ " Dirty Work" ، ليس هناك أحد مسئول عن تدريب أحد ولا تعليمه شيئًا، ولا أحد مهتم بذلك أصلاً، و لم أجد أحدًا يفعل ذلك من نفسه، اللهم إلا نائبة الأمراض الباطنة في استقبال الباطنة بشهر الطوارئ الوحيدة التي كانت مهتمة أن تفعل ذلك؛ ولذلك فمازلت أذكرها فقد كانت شخصية يصعب نسيانها، لكنها استثناء من القاعدة، فطبيب الامتياز هو "مرمطون" الأقسام، كنا نسمع أنك لو تشاجرت مع ممرضة حتى ولو من خريجات المدرسة وليس من خريجات المعهد العالي فإن الإدارة ستقف في صفها، فهي عملة نادرة، أما طبيب الامتياز، فليس له دور حقيقي في الأقسام، وكل مهمته التسهيلات، وأن يترك النائب يتحمل مسئولية، ربما لم يتعود على حملها، ويذهب هو لينام في سكن النواب، أو يذهب إلى بيته، وبالرغم من وجود لائحة كاملة الأوصاف لمهام وواجبات طبيب الامتياز، إلا أنها ككثير

من اللوائح والنظم في مصر، شيء بلا فاعلية، حبر على ورق، وخلال تلك السنة اخترت الشهرين الأخيرين ليكونا في قسم طب الصناعات، باعتبار طب الصناعات أيضا باب للانفتاح على عالم أرحب، إلا أن الفترة كانت مملة بلا فائدة، كنت أمضيها في الدردشة مع الزميل الذي كان معي، وضجرًا، وهكذا كانت المدة.

خلال العمل بشهر الطوارئ وبخاصة في العشرة أيام المخصصة لقسم الإفاقة بالمستشفى، وفي تلك الفترة وجدت نفسي لأول مرة وجهًا لوجه مع حقيقة الموت، ومع الواجب الطبيعي للطبيب والطاقم الطبي في الحفاظ على حياة المرضى، بل وواجبهم في استعادة الحياة الطبيعية لهم، وقسم الإفاقة هو قسم مخصص للحالات التي دخلت في غيبوبة، لأسباب طبية كثيرة، وهدف القسم من اسمه هو إحداث الإفاقة، كنت أرى توافقًا مع الشعور الإنساني والطبي الطبيعي أن واجبي يقتضي بذل واستفراغ الجهد في هذا الاتجاه الإيجابي بكافة درجاته، بداية من بقاء المريض حيًا، ونهاية بإفاقته وخروجه إن كان في ذلك أملاً أصلاً، حتى ولو كانت الحالات ميئوس منها، أو حتى ولو كانت النتيجة تعبًا أكثر لي ولزملائي، وهو الأمر الذي دفعني للانفعال على إحدى الزميلات التي قصرت في رعاية أحد المرضى مما أدى إلى وفاته، وقد كانت تتعامل مع الأمر بلا مبالاة.

بعد الامتياز جاء التكليف وهو نظام من العمل الإجباري للطبيب حديث التخرج في الوحدات الريفية ووحدات الرعاية الصحية الحضرية، ومكاتب الصحة بالمحافظات المختلفة، وقد كان من نصيبي التكليف في الوحدات الريفية بشمال سيناء، على أن أظل بالقاهرة حتى يبت في موقفي من التجنيد، ولما أعفيت من التجنيد بسبب ضعف النظر، قضيت في شمال سيناء بعض الوقت، ثم عدت إلى القاهرة بعد أن قدمت وثيقة الزواج، وفي القاهرة قضيت الفترة الباقية المقررة، وكان معظمها في أحد مكاتب الصحة بحلوان، والعمل في مكاتب الصحة مسئولية كبيرة، لكن البعض يتخذ منه مصدرًا لزيادة الدخل، وذلك عند استصدار شهادات الوفاة والميلاد، إضافة لأعمال مراقبة الأغذية والمياه، أما الوحدات الصحية الريفية منها والحضرية فمن المفترض أن تؤدي دورًا هامًا في الرعاية الصحية الأولية، وهي بالفعل تقوم بجزء تسكيني من هذا الدور، لكن دورها يكون أكثر فاعلية إذا كان في إطار نظام تأمين صحي يشمل جميع فئات الشعب، وليس فئة دون أخرى.

بعد ذلك جاءت فترة النيابة، وقد اخترت فيها العمل في الإدارة العامة لصحة البيئة بديوان عام وزارة الصحة، وذلك بناءً على الرغبة السابقة في العمل في مجال الصحة العامة، ثم بناءً على الكلام الوردي الذي دبجه وكيل الوزارة في تلك الفترة

حول مزايا العمل في الإدارة، وقد كانت تلك الفترة غير مجدية على الإطلاق كما أتاحت لي الفرصة لرؤية الكثير من عورات النظام الصحي على الطبيعة، أما أنها غير مجدية فذلك لأنني وجدت نفسي بغير عمل حقيقي، أقضي الوقت في قراءة الصحف وحل الكلمات المتقاطعة، أو أخرج لتمضية الوقت في شوارع القاهرة، الكل هناك يجلس للدردشة، والحديث حول بعضهم البعض، والتنافس على السفريات، وليس هناك فرق في دور الطبيب والموظفين من خريجي العلوم وخريجي المعهد الفني الصحي؛ ومن ثم فلا اعتبار هنا للشهادة، بل لقدم الموظف. أما العورات، فلعل أهمها تضليل الرأي العام، فعندما تحدث مصيبة تتحدث عنها الصحافة أو يسأل عنها الوزير في مجلس الشعب يطلب من الإدارة المختصة القيام بزيارة ميدانية في موقع الحدث لا لتبين حقيقة الموقف، بل للرد على ما أثير بالإنكار، حتى ولو كانت اللجنة قد رأت وسمعت بنفسها صحة ما أثير، فالمطلوب منها أن تكتب تقريرًا يزيف الحقائق ويزين الصورة بالباطل، حدث هذا أمامي في أكثر من مناسبة، منها طلب إحاطة قدم للوزير عن تلوث مياه الشرب في مركز أبو كبير بالشرقية وصف فيه مدير الطب الوقائي المياه هناك بأنها "..."، ومنها تحقيق صحفي عن تلوث ملح الطعام في الإسماعيلية، تبين فيه من الزيارة قيام مركز القنطرة غرب بإلقاء مخلفات المجاري في الملاحات على شاطئ القناة، ولم يكن مطلوبًا منا كشف الحقائق بل إخفاءها. بل إن الإدارة من

واجبها القيام بزيارات دورية دون انتظار لحدوث مصيبة. إلا أن هذا لم يحدث طوال ما يقرب من عام عملته هناك.

من هناك نقلت نيابتي للمراكز الصحية الحضرية بالقاهرة، حيث أمضيت فيها ما يقرب من عام ونصف، تقدمت بعدها باستقالة من وزارة الصحة ككل، وكان من أسبابها أنني شعرت أن العمل في تلك المراكز غير مفيد من ناحية الخبرة على المدى الطويل، وأن كل ما يحاسب عليه الطبيب هناك هو حضوره وانصرافه، أما ما بين ذلك فليس له أهمية، تنتهي من عملك في أي وقت، ثم تمضي باقي الوقت في الدردشة وتضييع الوقت، كما أن الراتب كان لا يسمن ولا يغني من جوع.

وخلال تلك الفترة حاولت التقدم بطلب للدراسة في أكثر من مكان بداية بدبلوم كلية الإعلام، مرورًا بدبلوم السياسة الدولية بكلية السياسة والاقتصاد وانتهاء بالدراسة بقسم التاريخ في كلية الآداب، وفي كل مرة كان هناك أسباب عجيبة تعوق الأمر بداية من طلب الخبرة قبل الدراسة في كلية الإعلام، وانتهاء بتقدير مقبول في بكالوريوس الطب الذي من الضروري أنه يمنعني من دراسة التاريخ بنجاح!

وخلال تلك الفترة أيضًا نشر لي أول مقال بعنوان "خواطر مسلم" ونشر في مجلة "لواء الإسلام"، وكان ذلك عام ١٩٨٧، وفي عام ١٩٨٩ نشر لي أول كتاب، وكان كتيبًا صغيرًا

ومشتركًا مع الصديق الدكتور إبراهيم البيومي والدكتور عصام العريان عضو مجلس نقابة الأطباء وعضو مجلس الشعب عن التحالف الإسلامي في ذلك الوقت وكان بعنوان "الانتخابات الطلابية في الجامعات المصرية في العام الجامعي ٨٨-١٩٨٩" وكان مقدرًا له أن يكون أول كتاب في إطار مشروع للتأريخ للحركة الطلابية منذ بداية السبعينيات وهي الفترة التي شهدت صعود التيار الديني في وسط طلاب الجامعات، ومن ثم كان لابد أن يكتبه أصحابه، إلا أن المشروع توقف عند ذلك الحد لعدة أسباب، وقد شهدت تلك الفترة أيضا قيامي بعمل أول بحث في حياتي وكان حول الجمعية الشرعية فرع الهدى المركزي وهو الفرع الذي يعمل في المنطقة التي أسكن فيها "حدائق حلوان"، وذلك كنموذج للعمل المؤسسي الاجتماعي الإسلامي، وكان ذلك في عام ١٩٩٠ ولم يقدر لذلك البحث أن ينشر.

قدم هنا وأخرى هناك

في تلك المرحلة تمتعت بحرية أكثر في السعي نحو تحقيق ما أصبو إليه، وإن ظللت أتحين الفرصة المناسبة لذلك؛ لذا فقد ظللت أمارس مهنة الطب في المستوصفات التي أنشئت ملحقة ببعض المساجد، وقد ظللت على تلك الممارسة حتى نهاية المرحلة، وإن كان قد قطعها سفري مع لجنة الإغاثة الإنسانية بنقابة أطباء مصر لفترة قصيرة، وفي تلك الفترة أيضًا عملت كسكرتير تحرير لمجلة الأطباء التي تصدرها النقابة، وعملت لفترة قصيرة أيضًا كمدير تنفيذي لشركة إعلامية جديدة تسعى لإنتاج وتوزيع شرائط فيديو وكاسيت ذات محتوى محترم، مع إقامة وتنظيم حفلات فنية، لكنها توقفت بسبب التمويل. وانتهت تلك الفترة بتقدمي للدراسة في معهد الدراسات الإفريقية، وقد كان لا يشترط تقدير البكالوريوس كالأماكن الأخرى.

كما قلت إنني عملت في تلك الفترة في المستوصفات الشعبية التي أنشأتها المساجد، وكان يوجد مثلها في الكنائس، وتلك المؤسسات هي مبادرة شعبية بديلة عن انسحاب الدولة عن ساحة التأمين الصحي الشامل، فهي تقدم الرعاية الطبية لغير القادرين بأسعار زهيدة، كما تعين الأطباء الشبان على

حياتهم بإيجاد فرصة لزيادة الدخل، في مقابل الأجور الهزيلة التي تقدمها الجهات الحكومية للأطباء، وفي مقابل زيادة الأسعار، وارتفاع تكاليف الحياة وعدم قدرتهم على تأسيس عيادات خاصة لهم، أو العمل في المستشفيات الاستثمارية غير المتاحة إلا للنواب العاملين في الجامعات أو بعض أقارب ومعارف أصحاب تلك المستشفيات. ورغم ذلك فإن تلك المستوصفات تحتاج للرقابة لتحسين المستوى، وتحسين المعاملة مع الأطباء. من قبل الإدارات غير الطبية للمؤسسات سواء في الجانب المالي أو الجانب المتعلق بالتدخل في صميم العمل المهني أحيانًا، ربما أيضًا لسوء تصرف الأطباء نتيجة لقلة الخبرة أحيانًا أو الجشع أحيانًا أخرى.

وخلال تلك الفترة الثانية أصدرت كتابي الثاني، وقد كان أيضا كتيبًا صغيرًا بعنوان "ألبانيا بين الآمال والمخاطر" والذي كان عبارة عن مشاهدات وانطباعات حول الوضع في ألبانيا خلال مرحلة التحول التي كانت تعيشها وقد كان ذلك الكتاب نتاج عملي لفترة قصيرة مع لجنة الإغاثة الإنسانية خارج مصر.

أحرقت السفن!

عندما اخترت دراسة الأنثروبولوجيا في معهد الدراسات الإفريقية، لم أكن قد سمعت عنها من قبل، فقد كنت مخيرًا بين قسم الموارد الطبيعية وبين قسم الأنثروبولوجيا، فاستشرت صديقي الدكتور إبراهيم البيومي الباحث بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، فأشار علي بقسم الأنثروبولوجيا، على اعتبار أنه أقرب لما أريد، وكانت قد بدأت عندي بعض التحولات، فلم أعد أرغب كثيرًا في دراسة الإعلام، ولا في ممارسة الصحافة بوضعها القائم في ظل مناخ الاحتقان السياسي، وفي ظل تحول الصحفيين إلى صناع للغثائية في الأمة، واتسام الكثير منهم بالسطحية والقدرة الشديدة على التلون بأكثر من لون سياسي، كما بدأت أتحول شيئًا قليلاً إلى الرغبة في كتابة المقالات والكتب والأبحاث لما تتيحه من قدر من الحرية واحترام الذات.

في بداية التحاقي بالمعهد اكتشفت عالمًا جديدًا هو عالم الأنثروبولوجيا، الذي حدث الحب والغرام بيني وبينه من اللقاء الأول ربما بدافع من الحماس والرغبة في إثبات الذات واستعادة الثقة التي اهتزت مع الرسوب في السنة الإعدادية بالكلية، وقد كانت المواد في مجملها تبعث على الحماس وقد كان الفصل

الدراسي الأول يحتوي على أربع مواد، وهي: تاريخ الفكر الأنثروبولوجي، والأنثروبولوجيا الثقافية، والفيزيقية، ولغة إفريقية هي لغة الهوسا، وخلال ذلك الفصل طلب من كل منا ترجمة فصل من فصول أحد الكتب في تاريخ الأنثروبولوجيا، كما طلب من كل منا إعداد بحث في أحد موضوعات الأنثروبولوجيا الثقافية، وقد اخترت أن أقوم ببحث حول "فن الأقنعة في أفريقيا" وهو البحث الذي تقرر أن يكون مادة للامتحان في نهاية ذلك الفصل، وكان هو أول أبحاثي في المعهد. وقد أتّم سعادتي أن حصلت على تقدير ممتاز وكنت الأول، واستمر تفوقي على نفسي وعلى زملائي في الفصل الدراسي الثاني، وكذلك في العام الثاني، وقدمت بحوثًا أخرى، وهكذا توثقت صلتي بعالم البحوث أكثر وبعدت عن عالم الصحافة، وخلال فترة الدراسة بالمعهد أُتيح لي أن أطلع على بحث عربي رائع حول الأنثروبولوجيا الطبية كتبه الدكتور نبيل صبحي حنا، قدم فيه عالم الأنثروبولوجيا الطبية تقديمًا شيقًا جذبني إليه، ومن ثم قررت أن يكون موضوعي لرسالة الماجستير في مجال الأنثروبولوجيا الطبية وتحديدًا في جزئية الأنساق الطبية، وبخاصة مشكلة الثنائية بين نظم طبية شعبية وأخرى رسمية، وقد دفعني ذلك لأن يكون الموضوع الذي اخترت الكتابة فيه في إطار دراستي لمادة الفولكلور في الفصل

الثاني من العام الثاني، هو الطب الشعبي كأحد فروع علم الفولكلور، ولا أدري كيف ولماذا اخترت موضوع الأنساق الطبية Medical Systems إلا أنني وجدت توافقًا نفسيًا وعقليًا مع الموضوع، وخاصة من زاوية إدارة العلاقة بين الطب الرسمي والطب الشعبي، وإعادة اكتشاف ذلك النسق الطبي ونفي تهمة الدجل والخرافة التي ألصقت بجميع ممارساته، وإعادة الاعتبار لتلك الممارسات في إطار تكاملي وليس في إطار النفي والإقصاء الذي يمارسه حراس معبد الطب الرسمي ربما أكثر مما يحدث في الغرب ذاته وهو مصدر ذلك النسق الطبي الرسمي، ربما من زاوية غرامي بعلم الفولكلور، ربما بسبب رفضي لهيمنة الطب الرسمي على حياة الناس كجزء من هيمنة الدولة على حياة الأفراد في كل شيء، ربما أيضًا من غرامي بفكرة النسق المتكامل التي تبدو في موضوع النسق الطبي والتي تتوافق مع هيامي بالمؤسسية والترابط والتكامل وأهميتها في أعمال الناس وحياتهم. وقبل تخرجي من المعهد كنت قد شهدت أخريات أيام لجنة الإغاثة حيث عملت بها مسئولاً عن الإعلام، ثم مسئولاً عن الإغاثة الداخلية، قبل أن تنجح الدولة فيما سعت إليه بتجميد لجنة الإغاثة، ومن ثم فقدت عملي فيها في فبراير من عام ١٩٩٥، وكنت ملتحقًا لدراسة دبلوم طب الأطفال وكنت قد دخلت الامتحان في يونيو من عام ١٩٩٤ وفشلت

في النجاح في المحاولة الأولى، وبدأت في الاستعداد للمحاولة الثانية، فلما ظهرت دراسة الأنثروبولوجيا قلت ربما أنجح في الجمع بين الدراستين، ولكنني وجدت ذلك مستحيلاً، ومن ثَم قررت إحراق سفن الطب إلى غير رجعة، والمضي في الطريق الآخر إلى منتهاه، ومن ثم فقد قررت البحث عن عمل في مؤسسة تعمل في مجال البحوث الاجتماعية، وبعد فترة من المكوث في المنزل علمت من إحدى الزميلات بالمعهد عن وجود فرصة في العمل بمركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية، ولكن سمعة الدكتور سعد الدين إبراهيم في الأوساط الوطنية والإسلامية لم تكن على ما يرام، ولكنني كنت راغبًا في الذهاب لتعلم العمل في ذلك المجال الذي اخترته، خاصة أن تجاربي في العمل بالمؤسسات الإسلامية لم تكن ناجحة لأسباب تتعلق في الغالب بتلك المؤسسات، ومن ثم استخرت واستشرت وذهبت للدكتور سعد وعرفته بنفسي فرحب بي، وبعد التعرف على المشاريع البحثية الموجودة والقائمين عليها قررت العمل في وحدة دراسات السكان وكان ذلك في فبراير من عام ١٩٩٦، وبالفعل عملت في بحثين ميدانيين في إطار تلك الوحدة كباحث من الخارج، وكان البحث الأول دراسة تتبعية لتقييم السياسات السكانية في مصر، وهو البحث الذي مثل جزءًا تكميليًا للدراسة المسحية التي قام بها المركز لتقييم السياسات السكانية

قبيل مؤتمر السكان الذي عقد في مصر، أما الدراسة الثانية فكانت حول ثقافة الفقر والفقراء في مصر، والتي كانت جزءًا من العمل الذي يقوم به معهد التخطيط القومي لإعداد التقرير السنوي للتنمية في مصر لعام ١٩٩٦، وهو البحث الذي قربني لعالم الفقر والفقراء في مصر وأثار اهتمامي بذلك الموضوع، ومن ثم سعدت بالترشيح للعمل في مشروع المركز الجديد وهو مشروع "صندوق ابن خلدون للنقد الشعبي" وهو المشروع الذي كان يريد أن يتخذ من بنك جرامين نموذجًا للعمل في مصر، وهو البنك الذي لم أسمع به من قبل، ومن ثم كانت سعادتي غامرة بترشيحي للسفر للتدريب في ذلك البنك في بنجلاديش، وهو الأمر الذي كان يتيح لي أمرين: التمتع بمتعة السفر لبلاد جديدة عليّ وهو أمر أجد فيه متعة لم تتحقق لي كاملة حتى الآن، والأمر الثاني التعرف عن قرب على تجربة ذلك البنك، وقد أثمرت تلك الرحلة التي استغرقت من ١٥ مارس عام ١٩٩٧ حتى ١٤ أبريل من نفس العام، عن صدور الكتاب الثالث لي في فبراير من عام ١٩٩٩ بعنوان "تجربة بنك الفقراء"، وبعد العودة من بنجلاديش عملت في مشروع الصندوق حتى شهر نوفمبر من ذلك العام حيث كنا نضع الأسس الأولى للعمل فصممنا استمارات المشروع، ومسحنا المنطقة التي تم اختيارها، وهي منطقة بولاق الدكرور، وكونا

مجموعات من الفقراء لتلقي القروض، وتأكدنا من انطباق الشروط عليهم، لكن المشروع كانت تشوبه الكثير من العيوب التي حالت دون أن أستمر فيه وأخطر هذه العيوب إدارة المشروع، التي كانت متضاربة مرتبكة، تصدر القرار وتتراجع عنه، وتسبب لنا فقدان المصداقية لدى العملاء. كما لم تستطع الحفاظ على العاملين لإخلالها بحقوقهم، ومن ثم تركت العمل. بعد ذلك عملت كمحرر في مجلة طبية تحت الإنشاء كان من المفترض أن تحمل اسم "روشتة" لكننا وبعد أن ظللنا نعمل لشهور لإصدار المجلة، توقفنا عن العمل لاضطراب صاحب المجلة في توجهاته وآرائه، بعد ذلك وخلال الفترة من شهر فبراير عام ١٩٩٨ وحتى نهاية العام عملت كمشرف لمشروع أنشطة المجتمع لتحسين البيئة التابع لهيئة كير الدولية-مصر، ثم مكثت أطول وأقسى فترة في المترل عملت خلالها كمشرف لمدة شهر في مشروع بحثي يقوم به المجلس الدولي للسكان لصالح مؤسسة اليونيسيف حول الفتيات العاملات في منطقة حلوان وذلك بالتعاون مع جمعية الرعاية المتكاملة في مساكن عين حلوان، وخلال تلك الفترة أصدرت كتابي عن بنك الفقراء كما كتبت العديد من المقالات في جريدتي "آفاق عربية" و"القاهرة" وهي في مجملها تدور حول الشأن الاجتماعي بداية من أطفال الشوارع مرورًا بالأرزقية،

والمهمشين والتهاءً بالتكنولوجيا الوسيطة، وخلال ذلك العام انتظرت العديد من الوظائف، وبعثت الكثير من طلبات العمل، حتى سافرت إلى إنجلترا بحثًا عن عمل أو دراسة، وكان عامًا من أقسى الأعوام في حياتي، ولعله كان المفتاح المكسور الثاني في حياتي والذي كنت أبحث عنه، فقد سافرت للحج خلال تلك الفترة وعدت وقد جاء الفرج في مشروع "الإسلام على الإنترنت" (إسلام أون لاين) حيث بدأت العمل في المشروع كمحرر للعلوم والتكنولوجيا، واضعًا قدمي على أول الطريق الذي كنت أبحث عنه، فهل يكون غاية رحلة البحث عن الذات؟.

خاتمة: ملامح الرحلة

- منذ البداية كان الهدف والحلم يتلخص في الكتاب والقلم.

- لم أتشبث بالحلم في البداية، كان حلمًا رومانسيًا.

- دفعتني الأمواج إلى جزيرة الطب، حاولت المقاومة، لكنها لم تكن محاولة قوية ولا نافعة، كانت الأمواج أقوى مني.

- في الجزيرة حاولت التأقلم معها، مع أهلها ولم يدم الوفاق كثيرا.

- عاودني الحلم في الجزيرة، صحا في قلبي وعزمت على تحقيقه، مع تأجيل التنفيذ

- كان يخنقني الخوف كلما تذكرت أنني مقبل على قمقم مقبض لا أتنفس فيه إلا الطاء والباء دون كل حروف الهجاء.

- عشت سنين على الجزيرة أترقب اللحظة المناسبة للرحيل.. للفرار من هذا الكابوس إلى عالم أرحب.

- على الجزيرة تقلبت في أماكن كثيرة لعلي أجد الراحة أو أجد متنفسًا لكنني كلما تقلبت في مكان لم أطق صبرًا مما

فيه، وبعد أن يكون المكان محاولة للتنفس يصبح هما لابد أن أزيحه بالتحول عنه.

- تحينت السفينة خلف السفينة حتى أخرج من تلك الجزيرة، لكن شيئا ما كان يخرق تلك السفن قبل الإبحار.

- حاولت أن أضع قدمًا داخل الجزيرة وقدمًا خارجها، محاولاً الاحتفاظ بهذا الوضع، تشبثا مني بالبحث عن متنفس.

- حين جاء الموعد اكتشفت سفينة لم أعرفها ولم تخطر لي على بال، كانت سفينة الإنقاذ هي الأنثروبولوجيا.

- قررت مغادرة الجزيرة على ظهر السفينة إلى غير رجعة، غادرتها لكنها ما غادرتني، فالعشرة كما يقولون "ما تهونش إلا على ابن الحرام".

- على ظهر السفينة الأنثروبولوجية كانت الجزيرة وأحوال أهلها تشغلني، فأمسكت بالمنظار لأنظر إليها من خارجها.

- ومن هذا المنظار صرت أرى أشياء جديدة على الجزيرة وفي أحوال أهلها.

• حملتني السفينة في نزهة حرية، رأيت فيها عوالم وجزر كثيرة، شدتني فيها جزيرة الفقر والفقراء، شغلتني وشغلني أحوال أهلها.

• في بداية الرحلة كانت جزيرة الأحلام معالم مشوشة، صورة وردية من وحي المراهقة لعالم مثالي متخيل.

• مع تجارب الرحلة الكثيرة صارت الدنيا أكثر وضوحًا، زال عنها اللون الوردي، صرت أرى الدنيا بألوانها الطبيعية لا كما أحب أن أراها، ومن ثم أجريت تعديلات طفيفة في وجه الحلم ووجهته.

• مع تجارب الرحلة أيضًا، وبفضل منظار السفينة أصبحت معالم الأمور على جزيرة الطب أوضح، صرت أرى معايبها، سواء تلك التي تكمن في بنائها، بداية من عملية التكوين التي تتم في كليات الطب، إلى هيكلة البناء الطبي ككل، إلى الطبيب وما يجب أن يكون، وعلاقته بالمريض، إلى البناء النفسي لسكان عالم الطب والأطباء البناء القائم على الإحساس بالانتماء إلى الإمبراطورية الشاهانية، كما صرت أرى العيوب التي تكتنفها من البيئة المحيطة، سواء كانت سياسية، أم اقتصادية أم أخلاقية، أم فكرية وعقيدية، أم سلوكية.

- إذا كانت أمي قد دفعتني إلى تلك الجزيرة بدافع الحب.

- فقد خرجت من الجزيرة بالحب الذي قابلته عليها ومن بنات أهلها "زوجتي"، والتي كانت لي عونًا كبيرًا على الخروج من الجزيرة.

- وإذا كنت قد خرجت من الجزيرة بالحب والزوجة، فقد خرجت منها بتحصيل الإيمان، إذ كانت تكتنف بعضًا من أهلها نفحات من نور الإيمان تحملها ريحٌ طيبة، فصادفت نسماتها.

- مشيناها خطى، ومن كتبت عليه خطى مشاها.

الفصل الثاني

من البحث عن الذات إلى البحث عن المشروع

ما بين الذات والمشروع

هل نحن في حاجة إلى مشروع لنعيش له ومن أجله؟ أم أن الإنسان يستطيع أن يعيش بلا مشروع، اكتفاء بالعثور على ذاته وتحقيقها؟ في ظني أن لكل منا مشروع حياته الذي يدور في فلكه، أدرك ذلك ووعاه أم غفل عنه وسار فيه بالقصور الذاتي دونما وعي كامل.

فإذا كان لكل منا في حياته مسار واحد لا خيار له فيه فلا يزيد طوله ولا ينقص، يبتدئ بصرخة الميلاد وينتهي بشهقة الموت، فإن هذا المسار طال أم قصر يقطعه الإنسان "طائفًا" في مدار أو مدارات، يحدده وعي الإنسان وارتباطه الوجداني، فقد يكتفي الإنسان بأن يدور في فلك ذاته محققا لأمانيها، وملبيًا لرغباتها واحتياجاتها، وقد يدور الإنسان في فلك أسرته أو عشيرته، وقد يدور في فلك مجتمعه وأمته إذا جعل همهم همه، وأمرهم أمره، ويأخذ الناس من ذلك بعضه أو كله بأقدار تتفاوت بتفاوت همتهم ووعيهم، وهو ما نسميه هنا بـــ "المشروع". وفي هذا الجزء من الكتاب أقدم محاولة لرصد رحلتي في البحث.. من "الذات" إلى "المشروع"، أو من تحقيق الذات إلى تحقيق الذات في إطار مشروع أكبر يهدف لـــ "تحقيق المجتمع والأمة"، وبداية أقول أن روافد اهتمامي بالهمّ

العام هي روافد قديمة، خيوط رفيعة أضيفت إليها خيوط أخرى على مر الأيام حتى صارت حبلاً أتشبث به قدر المستطاع، أفلحت في ذلك أم أخفقت.

الخيط الأول: الوعي الوطني من التأييد إلى المعارضة

ربما كان الخيط الأول يأتي من بداية تفتح وعيي في ظل أسرة مصرية مستورة يتمتع الأب فيها ببعض الوعي العام، إذ ما زلت أذكر استماع والدي صباحًا ومساءً لنشرة الأخبار من إذاعة البي بي سي بموسيقاها المميزة، ثم سماعه لخطب الرئيس عبد الناصر بنفس الإنصات والاهتمام الذي كنت أجده لدى الناس في الشارع حينما كنت أخرج لقضاء بعض احتياجات الأسرة أثناء خطابه،وما زلت أذكر حرصه على قراءة الصحف، الأمر الثاني هو الزمن الذي تفتح فيه وعيي في فترة صباي في مدرسة حسن باشا طاهر الابتدائية، ما بين حرب ١٩٦٧ وحرب ١٩٧٣ أي فترة حرب الاستنزاف في هذه الفترة ما زلت أذكر بعض الأحداث التي كانت تنقلها لنا وسائل الإعلام مثل قصف مصانع أبو زعبل ومدرسة بحر البقر وحريق المسجد الأقصى، ومعركة جزيرة شدوان وعمليات الضفادع البشرية المصرية، وغيرها، كما ما زلت أذكر سماعي للأغاني الوطنية من الإذاعة المصرية والتي كنت أحب الاستماع

إليها وترديدها، لتملأني حماسة وحبًا للوطن، أغاني عبد الحليم "فدائي.. فدائي.. أموت أعيش ما يهمنيش، وكفاية أشوف علم العروبة باقي.. "، وأم كلثوم ومنها "أصبح عندي الآن بندقية.. "، والمجموعة "الله أكبر.. الله أكبر فوق كيد المعتدي"، و"وطني حبيبي الوطن الأكبر.. " وكلها أغان صاغت وجداني الوطني، وإحساسي بالوطن وقضاياه، مع ما كان يدور من حديث في أوساط الناس، وما كنت أسمعه في الإذاعة حول قضية الصراع العربي الإسرائيلي، هذا الجو والمناخ العام الذي جعل طفلاً صغيرًا مثلي كما لا زلت أذكر يومًا "يطق" في دماغه وأدمغة اثنين من زملائه أن يقوموا بعمل مظاهرة أمام باب المدرسة يهتفون فيها: هنحارب.. هنحارب.. إسرائيل أرانب"، في هذه الفترة أيضًا وحينما كنت في بداية السنة الرابعة من سنوات الدراسة الابتدائية.. يموت عبد الناصر يوم الإثنين ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ فأظل أسير مع المظاهرات - التي كان يسيرها الاتحاد الاشتراكي في هذا الوقت - في شوارع السيدة زينب والحلمية الجديدة هاتفين لعبد الناصر وضد أمريكا وإسرائيل، ومازلت أذكر جلوس الأسرة جميعها بعد ذلك في صباح الخميس أمام التلفزيون الصغير الأبيض والأسود ونحن نشاهد الجنازة الرهيبة لعبد الناصر والدموع تترقرق من أعيننا، ثم أيام الغضب والسخط على القادم الجديد "أنور

السادات" واطمئناننا بعد أن أكد أنه "يسير على نهج عبد الناصر"، ثم انفعالاتنا بعد ذلك مع حرب أكتوبر بانتصاراتها الأولى وثغرتها بعد ذلك وخطاب السادات الذي لا ينسى أثناءها في مجلس الشعب بزيه العسكري، وما زلت أذكر بعدها أغنية الصباح في مدرسة المعادي الإعدادية القديمة "خلي السلاح صاحي.. صاحي.. صاحي.. لو نامت الدنيا صحت مع سلاحي" أو أغنية الأمل في أيام الحرب "راجعين.. راجعين رافعين رايات النصر" وإحساسنا بالفرح عام ١٩٧٥ مع إعادة افتتاح قناة السويس وأغنية عبد الحليم الفرحة "النجمة مالت ع القمر فوق في العلالي.. فوق في العلالي..." حتى نهاية هذه المرحلة من الدراسة الإعدادية كنت ما زلت فردًا مستلبًا لإعلام الدولة الناصري ثم الساداتي، لا أعرف كيف حدث ما حدث وكان التحول.. لكنني أذكر تاريخه.. كان ذلك حينما كنت طالبًا في العام الأول من المرحلة الثانوية وحينما نزلت لشراء كتب كالعادة من سور الكتب القديمة بميدان السيدة زينب وكان يومها بالمصادفة يومًا من أيام مظاهرات ١٨ و ١٩ يناير ١٩٧٧ وعودتي بسخط على النظام من رؤيتي لجندي من جنود الأمن المركزي يقف في وسط أحد الشوارع التي تصل ما بين محطة مترو السيدة زينب القديمة وما بين ميدان السيدة زينب يطلق النار إرهابًا لكل من يحاول الاقتراب وعبور الطريق مما

اضطرني للعودة، ثم تعرضي وباقي المارة في الطريق وأنا عائد لقنبلة مسيلة للدموع واضطراري وبعض المارة للجوء لمدخل إحدى العمارات قرب المحطة حتى نحتمي من دخان القنبلة، في هذه الأيام كنت وثلاثة من الزملاء (كامل حمودة مرسي ومحمد أحمد قاسم وصبري عبد العال) نصدر مجلة حائط في "مدرسة المعادي الثانوية العسكرية" اسمها "مجلة القلم"، أذكر أننا أصدرنا منها عددًا بعد تلك الأحداث مليئًا بالسخط ومليئًا بالسخرية من وصف السادات لها بأنها "انتفاضة حرامية" وليست "انتفاضة شعبية"، كانت تلك هي بذرة تغير الموجة من "التأييد" القائم على السير في ركاب القطيع السائر إلى "المعارضة" التي تعمقت في المرحلة الجامعية.

الخيط الثاني: التيار الديني من السلفية السطحية إلى الوعي السياسي

أما الخيط الثاني فقد جاء من تشكل الوعي الديني والذي انقلب من وعي ديني "غير سياسي" إلى وعي ديني "سياسي" فقد نشأت في أسرة متدينة تدينًا فطريًّـًا طبيعيًّـًا كأسرة من مستوري الحال من أصول ريفية، ما زلت أذكر فيها كيف كانت أمي رحمها الله محافظة على صلواتها مطيلة لها وكيف كنت أركب ظهرها وهي ساجدة "حج حجيج"، وما زلت أذكر تذبذبي في المحافظة على الصلاة وتذكير أمي الدائم لي بها،

وكسلي أحيانًا وانشغالي باللعب أحيانًا عنها، فما بين النسيان أيام اللعب واللهو في الحارة والشارع، والتمسك بها في شهر رمضان وغيره سواء حينما كان يصحبني جاري "أسامة عبد المنعم بكر" الذي توفي في يوم من أيام المطر الشديد نتيجة لماس كهربائي وهو ذاهب لشراء فطور أسرته، حينما كان في الصف الأول الثانوي وكنت أنا في الصف السادس الابتدائي، وقبلها كان يحرص على اصطحابي للصلاة في مسجد "حسن باشا طاهر" في الشارع الواصل ما بين ميدان "بركة الفيل" وميدان "طولون"، وما زلت أذكر أيام درويشتي وإمساكي بالسبحة التي اشتريتها من ميدان السيدة، ومذاكرتي في مسجد السيدة زينب فترة من الزمن، كانت تلك مرحلة، وقد تلتها مرحلة أخرى في المرحلة الثانوية حيث انتقل لمدرستنا الأستاذ "يوسف البدري" مدرسًا للغة العربية والتربية الدينية، فكان يلقي محاضرات عامة ودروسًا في الفصل لتحفيظ القرآن، وقد أثمرت نشاطاته، واحتكاكي ببعض الأصحاب المتدينين (كالزملاء علي سالم العزب وأيمن الغايش) كل ذلك جعلني أقرر الصلاة في المسجد، وهو القرار الذي عارضته والدتي أيامًا قبل أن أستطيع إقناعها، ثم كان القرار الثاني بالذهاب مع زميلي "علي" إلى صلاة العيد بميدان عابدين، وهي الصلاة التي هزني مشهدها المملوء بالسكينة والرهبة مع الجماهير الغفيرة والسعيدة في آن، ومع خطبة العيد التي كان يلقيها الشيخ الغزالي أو القرضاوي، ومع الكلمات التي كان يلقيها قادة الجماعة الإسلامية في الجامعة

آنذاك، والبيانات التي كانت توزع سواء من الجماعة الإسلامية أو من غيرها من التجمعات الطلابية المسيسة الأخرى، وفي نهاية المرحلة الثانوية كنت قد بدأت التعرف على مساجد "الجمعية الشرعية" وجولات جماعة التبليغ والدعوة من مساجد الحي، وما زلت أذكر حينما قررت يومًا وأنا في فترة الاستعداد لامتحان الثانوية الخروج مع جماعة التبليغ، وكيف وقفت والدتي في وجه هذه الرغبة "الطائشة" وكيف رضخت لها، ثم عوضت الرضوخ بتحقيق رغبتي بالخروج معهم مرتين في إجازة الصيف التالية مرة إلى قليوب والأخرى إلى الهرم، وما زلت أذكر كيف كانت خروجة قليوب مؤثرة للغاية، حيث بتنا ليلتنا الأولى على رصيف المسجد لأن الأمن منع تواجدنا به، ثم تفضل وسمح لنا، وكان معنا شاب فطن رقيق أخذ يشرح لنا بعض مبادئ ورؤية جماعة التبليغ على سبورة في المسجد، ومازلت أذكر في تلك الفترة وما تلاها حضورنا لخطب الشيخ الراحل إبراهيم عزت في مسجد أنس بن مالك بالمهندسين إضافة لخطب يوسف البدري في مسجد الفتح بحلوان ثم في مسجد سوق الآخرة بعين حلوان، وخطب الدكتور محمد عبد الرحمن المسلوت في مساجد حدائق حلوان، في هذه الفترة وفي بدايات التحاقي بالجامعة كنت متأثرًا نتيجة كل تلك الروافد بالمسحة السلفية في المظهر والتفكير حتى إنني تخلصت من كل هواياتي، فتخلصت من كتب الأدب ومن الصور الفوتوغرافية ومن مجموعات الطوابع التي جمعتها، وكان دخولي إلى الجامعة

بداية تحول في وعيي الديني، كانت السنة الأولى في كلية العلوم بالجامعة بمظهر سلفي ونشاط سياسي متمثل في المظاهرات التي كانت تموج بها الجامعة سواء لأسباب دينية سلفية كحفل فني في كلية الطب قامت من أجله مظاهرات صاخبة وغاضبة شاركت فيها بعد أن قفزت مستعينًا بسلم من على سور الكلية إلى داخلها، حيث كانت تحيط عربات الأمن المركزي بأسوار الكلية وترابط أمامها، أو لأسباب دينية طائفية "كأحداث الفتنة الطائفية في أسيوط" أو لأسباب سياسية بحتة "كالثورة الإيرانية واستضافة النظام المصري لشاه إيران، ثم معاهدة كامب ديفيد"، كل هذه الأنواع من المظاهرات كانت دليلاً على موزاييك لم أكن أدركه بعد، بين تيارات متباينة داخل "الجماعة الإسلامية" في الجامعة، وفي العام التالي حيث كنت أعيد العام الدراسي في نصف مواد السنة الإعدادية بالكلية بدأت بوادر تمايز تلك التيارات، ومن ثم فهمي لهذه السلطة أو "الخلطبيطة"، ما بين "تيار سلفي" و"تيار جهادي" وتيار إخواني" لم أدركه في حينها من الجامعة أو الكلية وإن كنت أدركته أكثر من الحي.

الخيط الثالث: التكوين الديني في الحي

تعمقت صلتي وتوسعت برفقاء الحي في حدائق حلوان خاصة في المرحلة الجامعية (١٩٧٩ – ١٩٨٦)، ففي هذه الفترة كنت أحيانًا أصلي في "زاوية الشيخ مرزوق" وهي زاوية صغيرة كانت تقع قرب الجدار الخلفي لفيلا الشيخ محمد أحمد

مرزوق أحد كبار العلماء والدعاة في الحي، كانت زاوية للصلوات الخمس دون الجمعة، وكانت تجمع طيفًا من الشباب وكبار السن، كانت خلطتي ببعض الشباب والذين كانت لهم أفكار سلفية مناهضة للإخوان، وبعض الشباب الذي اختار الحياد، وكانت بداية معرفتي بما كان يحدث في الجامعات في تلك الفترة من تمايز بسبب النقد اللاذع والسباب أحيانًا في الإخوان الذي كنت أسمعه من صديق كان يكبرني بعامين كان في تلك الفترة طالبًا بهندسة الأزهر، وكنت في بداية دراستي بكلية العلوم بالسنوات الإعدادية تمهيدًا للدراسة بالطب، وكانت هندسة الأزهر في ذلك الوقت معقلاً للتيار السلفي من تلامذة الشيخ أسامة عبد العظيم وأتباع الدكتور عبد الله سعد، ومن هنا عرفت بأن هناك خلافات فكرية داخل التيار الجامعي، ومع مرور السنين اخترت الابتعاد عن التيار السلفي المتزمت والتيار الجهادي العنفي، واخترت الانحياز لتيار الوسطية الإخواني.

في الحي أيضًا وعلى الشاطئ الآخر كان هناك رواد مسجدي "الميدان" و"المحطة" وكان يجمع بشكل أساسي عموم الناس، وفي الأول منه اخترت الانخراط في نشاط تحفيظ القرآن للأطفال لسنوات متتالية مع شباب الحي المتدين بلا انتماء.

وفي تلك الفترة كان أفراد من الشباب الإخواني من طلاب الجامعة ممن خرجوا من معتقلات السادات (سبتمبر ١٩٨١ — خريف الغضب) قد بدئوا يتواصلون مع الشباب الأصغر سنًا وكنت أحدهم كما حدث تواصل على خط مترو حلوان مع بعض الشباب من المعادي وآخرين من أحياء أخرى، لم يكن لنا انتماء بعد للإخوان، كان مجرد تلاقٍ في دروس دينية أو أيام رياضية أو رحلات، وبدأنا كشباب في الحي ننشط في التواصل مع رفاقنا في الحي لنقوم ببعض الأنشطة بعضها كان يكتسب الطابع الديني والبعض الآخر وهو الأهم كان يكتسب الطابع الخدمي، وكان لنا في هذا ابتكارات نقلت عنا بعد ذلك في أحياءٍ أُخرى كـ "حفلات تكريم المتفوقين من أبناء الحي" و"معارض الأدوات المدرسية" المخفضة في بداية العام الدراسي، إضافة إلى الرحلات والأيام الرياضية بنادي حدائق حلوان، وللأسف الشديد وبعد أن استمرت تلك الأنشطة أعوامًا لم يتم توثيق الخبرة المتوارثة فيها، ولا تم تطويرها، وقلّت مع نمو العمل التنظيمي على حساب العمل الدعوي والخدمي العام.

الخيط الرابع: الإخوان هل هم مدرسة أم تنظيم؟

مع نهايات المرحلة الجامعية عام ١٩٨٦ وفي الفترة ما بين ١٩٨٦ إلى ١٩٩٥ عرفت الانتماء إلى مدرسة الإخوان

المسلمين سواء في نشاطها النقابي (من خلال عملي كسكرتير تحرير مجلة الأطباء التي كانت تصدرها نقابة الأطباء أو عملي لبعض الوقت في لجنة الإغاثة الإنسانية خارج وداخل مصر) أو في نشاط الحي حيث انتخابات مجلس الشعب ١٩٨٧ ثم المحليات ١٩٩٢ (حيث أُنتخبت عضوًا احتياطيًا لمجلس محلي حي حلوان)، وهي المرحلة التي تشربت فيها بأفضل ما في المدرسة، وتكثفت قراءاتي حولها فكرًا وتاريخًا، حتى تجذر لديّ الاهتمام بالشأن العام، واهتمامي على وجه أخص بشئون الأمة الإسلامية وشئون بلدي "مصر"، الأمر الذي وإن لم أفرق فيه حينها بين العمل السياسي والتنظيمي والمجتمعي حيث تماهيت تمامًا في مشروع الإخوان والذي كان في تلك المرحلة في فترة أوج النشاط في مجال العمل العام النقابي والنيابي والمحلي، فقد ظلت "نبتة" الميل إلى العمل المجتمعي تروى مع الأيام، خاصة مع ما حدث في نهاية تلك المرحلة من انشقاقات "حزب الوسط" و"المكتب الإداري لجنوب القاهرة" والذي كان يعني الميل البارز لدى البعض بضرورة التمايز في كيانات العمل ما بين السياسي (مثلاً في حزب الوسط) وما بين العمل الاجتماعي التنموي (مثلاً في مكتب إداري جنوب وأنشطته الاجتماعية والتعليمية)، ومع ابتعادي شيئًا فشيئًا عن الإخوان كتنظيم بقي عندي الانتماء لمدرستهم الوسطية الإصلاحية

وتحدد اختياري من بين أجنداته المتعددة في الأجندة الاجتماعية/ الاقتصادية، وفي أجندة التنمية والنهضة من خلال بوابة العمل الأهلي.

الخيط الخامس: الهم العام من السياسي إلى المجتمعي

في الفترة التي تلت ذلك (منذ عام ١٩٩٥ وحتى عام ٢٠٠٠) رويت تلك النبتة الاجتماعية من خلال رافدين: الأول كان رحلة البحث عن الذات التي رويت فصولها في الباب الأول، والتي مرت بي خلال عدة محطات، منها المشاركة في بعض بحوث "مركز ابن خلدون" من الخارج حول "السياسات السكانية" ثم حول ثقافة الفقر والفقراء في مصر، ثم مرت بي من خلال التعرض لتجربة بنك الفقراء (جرامين) في بنجلاديش، ثم بالعمل في "صندوق ابن خلدون للنقد الشعبي" كمحاولة لتكرار تجربة جرامين في مصر، ثم مرت بي أخيرًا بالعمل مع الجمعيات الأهلية في محافظة أسوان من خلال "مؤسسة كير الدولية"، ثم مرت بي إلى العمل في بحث حول الفتيات العاملات في حي حلوان من خلال المجلس الدولي للسكان.

أما الرافد الثاني الموازي في نفس تلك الفترة فكان "مجموعة الجنوب" وهي مجموعة من الشباب من أماكن مختلفة كانت

تجمعهم بعض الرؤى النقدية لبعض الأوضاع والأفكار داخل الإخوان أو بعض الاهتمام بالانفتاح على مشارب أوسع، وإن بقي لبعضهم انتماؤهم الإخوانية التنظيمية، لكنهم من خلال الصالون باتوا ينفتحون أكثر على تجارب المجتمع والعالم خاصة "جنوب العالم"، وباتت مع الوقت ينمو اهتمامهم بالمجتمع ومشكلاته والعمل الأهلي الاجتماعي وتجاربه المتنوعة في الداخل والخارج، فصار هناك مساحة للنقاش في "صالون الجنوب" أكثر من التركيز على النقد ولعن الظلام والذي يبدو أنه لم يكن يجمع الجميع، إلا أن الاهتمام بالنقاط المضيئة في العالم وفي بلادنا كان أكثر، وفي هذا الصالون تكلمت للمرة الأولى عن تجربة "بنك جرامين"، وهي التجربة التي أعددت عنها كتابًا في مرحلة لاحقة وهو كتاب "تجربة بنك الفقراء"، كل ذلك زاد من حجم النبتة فصارت شجرة تورق مقالاً هنا أو هناك حول أطفال الشوارع، والإصلاح المجتمعي والتجارب الإنسانية كمنبع للحكمة.. إلى أن رست بي سفينتي أخيرًا على شاطئ إسلام أون لاين ككثير من "الجنوبيين" فصارت الشجرة شجرة باسقة ذات أوراق وثمار.

الرسوُّ على شاطئ إسلام أون لاين

لم يكن العمل في قسم "العلوم والتكنولوجيا" هو حلمي في مجال الكتابة والبحث، حيث كنت منذ عملت مع مركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية في بحث ثقافة الفقر والفقراء في مصر، وما تلا ذلك من عملي في مجال القروض متناهية الصغر ثم في مجال البيئة والتنمية، كنت أتمنى بعد كل ذلك أن أعمل في القسم الاجتماعي بالموقع كما كنت أتخيله يعنى بمشكلات المجتمع بشكل عام ويعنى بأشكال العمل الأهلي الخيري والتنموي، لكن إدارة الموقع رأت أن يكون القسم الاجتماعي معنيًا بالأسرة وأن تكون القائمة عليه امرأة (والتي كانت الزميلة الدكتورة هبة رءوف هي المحرر المختار له) ومن ثم تأخر التحاقي بالعمل في الموقع بضعة شهور، وقد قابلت القائم على تأسيسه وهو الأستاذ "توفيق غانم" منذ اللحظة الأولى وظللت أنتظر بعدها أن يتصل بي أحد ليقول لي تعال، ولم يحدث، ولكنني كنت قد نشرت موجزًا لكتابي "تجربة بنك الفقراء" في شكل بحث على صفحة قضايا معاصرة بالموقع، وكنت في نفس الوقت أعمل على مساعدة العلامة الراحل الدكتور توفيق الشاوي في بعض دراساته، وأكتب بعض المقالات الاجتماعية مع الصديق حسام تمام سواء في جريدة "القاهرة" أو في جريدة "آفاق عربية"، وانتظرت حتى شهر فبراير ٢٠٠٠، أي بعد أن بدأ العمل في الموقع بما يقرب من ٥ شهور حتى عرض عليّ

العمل محررًا مساعدًا لصفحة العلوم والتكنولوجيا، وهو الأمر الذي أجلته لحين عودتي من رحلة الحج، حيث تسلمت عملي محررًا مساعدًا، فمحررًا، ثم رئيسًا للقسم الثقافي والعلمي بالموقع، وقد رضيت بالعمل في القسم العلمي في البداية حتى أستقر في عمل يضعني على بداية الطريق، واجتهدت منذ البداية أن أضع بصمة على تناول الصفحة والموقع لقضايا العلوم والتكنولوجيا، ومن ثم فقد فحصت ما قام به الدكتور وجدي سواحل المحرر الأول للصفحة منذ بداية عملها في يناير ٢٠٠٠ حتى تسلمت عملي بعد عودتي من رحلة الحج في مارس/إبريل من نفس العام وما كان يقدم في الصفحة الإنجليزية العلمية أيضًا، حيث ظللت أسبوعًا قبل العمل أطالع المنشور وأضع تصورًا بديلاً من خارجه لما يجب أن تكون عليه العلوم والتكنولوجيا بالموقع، ومن ثم بدأت مسيرة العمل في ضوء تلك الرؤية التي تطورت على مر الأيام والشهور والسنين، والتحق بي في تنفيذها فريق ضم الزميلات بثينة أسامة ونادية العوضي ونهال لاشين، وهي المسيرة التي دونتها لاحقًا في مقال حاولت فيه أن أوثق ملامحها.

كانت ملامح الاهتمام تعكس خبراتي ورؤاي من خلال عملي السابق، أي تعكس الفكر الاجتماعي وعلاقته بالعلوم والتكنولوجيا بما يتجلى في الاهتمام بالتكنولوجيا الملائمة، كما كنت حريصًا أن تعكس الصفحة الاهتمام بالبيئة، والطب

البديل - موضوع قريب من بحثي بالسنة الثانية بمعهد الدراسات الإفريقية (الطب الشعبي)، ثم جزء من مشروع رسالة الماجستير حول الأنساق الطبية في أفريقيا ما بين الرسمي والشعبي - كما كان يعكس اهتمامي المتصاعد بالعمل الأهلي وسؤالي حول إمكانية أن يكون لمؤسسات هذا العمل دور في التنمية والنهضة العلمية والتكنولوجية، لم تكن تلك هي اهتمامات صفحات العلوم السائدة، ولا اهتمامات الزملاء حينما قدموا للعمل معي في الفريق، لكنني من خلال الحوار والمناقشة والمراجعة أفلحت أن أجعل من تلك الموضوعات أو بعضها جزءاً من اهتماماتهم.

وخلال فترة عملي بصفحة العلوم ثم بالقسم الثقافي والعلمي كنت أحاول أن أستمر في الكتابة في الموضوعات التي تشدني وتهمني أو أدفع غيري من الكتاب والمراسلين للعمل فيها، وأعترف أن كتاباتي في بدايات عملي في المجال العلمي لم تكن بالمستوى اللائق الذي صرت أتطلع إليه فيما بعد، لكنني لم أكتف في تلك الفترة بالكتابة في صفحة العلوم فقط، حيث كنت أكتب في صفحة ثقافة وفن أو صفحة مجاهيل ومشاهير بين الحين والآخر، كانت اهتماماتي تتسع وقلمي يبرى مع الممارسة إلى أن وقع حدث مثل لي جملة اعتراضية وسط تيار الاستسلام للعمل الروتيني اليومي، والكتابة هنا وهناك بين الحين والآخر.

ساحة مناهضة الحملة الأمريكية.. جملة اعتراضية:

ففي نهايات عام ٢٠٠٢ دقت طبول الحرب وتصاعدت أعمدة الدخان، معلنة أننا على أبواب حرب أمريكية جديدة على بلدان العالم العربي والإسلامي، فبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر والتي ألصقت فيها التهمة مباشرة بالقاعدة وأفغانستان شرعت أمريكا على الفور منذ نوفمبر عام ٢٠٠١ في الإعداد لغزو أفغانستان، وهو الغزو الذي صار احتلالاً امتد حتى يومنا هذا (٢٠١٠) بدعوى القضاء على القاعدة واعتقال قادتها وقادة طالبان وهو ما لم يحدث حتى تاريخه، إلا أن أمريكا افتعلت مبررات كاذبة لدفع العالم لمشاركتها في غزو العراق، بدعوى مساندته للقاعدة وبدعوى إنتاجه لأسلحة دمار شامل، وهي الدعاوى التي ثبت كذبها واختلاقها فيما بعد، وكانت تلك الاستعدادات الأمريكية دافعًا لحركات مناهضة الحرب والعولمة كي تجد ساحة جديدة لمعركتها مع القوى الرأسمالية والتي تنطلق من عقائد الليبرالية الجديدة التي تتبناها قوى المحافظين الجدد الحاكمة في الولايات المتحدة — كما قيل وقتها — وعندما أيقنا في إسلام أون لاين أن الغزو الأمريكي للعراق قادم قادم، عقدنا عدة اجتماعات لصياغة رؤيتنا ورد فعلنا على الأمر، وهو ما أسفر من بين ما أسفر عن قرار بفتح "صفحة

خاصة" باسم "ساحة مناهضة الحملة الأمريكية" لمتابعة جهود مناهضة الحرب الأمريكية على العراق وإرشاد الناس إلى الفعل السلمي الممكن للمناهضة والتعريف برموز القوى الفاعلة في حركاتها وأساليب ومجالات العمل الممكن، وهي الساحة التي امتد العمل فيها ثلاثة أشهر منذ بداية فبراير وحتى نهاية إبريل ٢٠٠٣، والتي عهد إليّ بإدارة فريق التحرير القائم عليها، وهي الفترة التي فتحت أعيننا على اكتشاف قوى مناهضة الحرب والعولمة في الغرب والشرق وهي في مجموعها حركات أهلية يغلب عليها أنها من بقايا اليسار أو من قوى ما يسمى باليسار الجديد مع بعض القوى الإسلامية.

خلال فترة العمل بالساحة أعدنا اكتشاف ما يسمى بالإعلام البديل وأهميته في ساحة المعركة الممتدة، كما أعدت اكتشاف اهتمامي بالعمل الأهلي الناشط في جلب المصالح ودرء المفاسد في العالم وهو ما أثمر عن تأسيسنا لما أسميناه "الشبكة العربية للإعلام البديل – شعاب"، وعن بدء إصدارنا لنشرة دورية في إطار الصفحة الخاصة بالساحة، باسم "شعاب الحرية" بهدف متابعة أنشطة الفعاليات الأهلية العالمية المناهضة للحرب والعولمة والمناصرة للقضايا العادلة في العالم، وقد صدر من تلك النشرة في إطار الصفحة أربعة أعداد، ومع انتهاء الحرب يوم ٩ إبريل ٢٠٠٣ بإتمام الاحتلال الأمريكي للعراق، ثم انتهاء العمل رسميًا بالساحة، لم نستطع كفريق عمل – أو

بعضنا على الأقل — التوقف عن الاهتمام بالأمر، ومن ثم قررت مع بعض الزملاء (الزميلات داليا يوسف وبثينة أسامة ورانيا الشاعر والزميل علي عبد المنعم) الاستمرار في إصدار نشرة شعاب الحرية وإرسالها للمهتمين على بريدهم الإلكتروني، وقد صدر من النشرة ٥ أعداد أخرى على فترات متقطعة نظرًا لانشغالات أعضاء الفريق كل في عمله الأصلي، وكم كنت أتمنى لو أننا استمررنا في الأمر، لكنه لم يستمر، وقد شارك بعض من فريق العمل في الساحة بعد ذلك في حضور المؤتمر العالمي لحركات مناهضة الحرب والعولمة والذي عقد في بيروت في سبتمبر عام ٢٠٠٤ برعاية من حزب الله وبعض القوى اللبنانية، حضرناه وقد أعددنا وَرَقَتَيّ عمل كانت إحداهما عن تأسيس منتدى للقوى والمفكرين الإسلاميين المناهضين للحرب والعولمة، وأخرى بعنوان "إعلاميون من أجل عولمة بديلة"، وكنا نهدف منه خلق تجمع للإعلاميين المناهضين للحرب والعولمة، وبالرغم من حماسنا لتدشين هاتين الصفحتين على موقع إسلام أون لاين إلا أن طلبنا لم يلق حماسًا يواكب حماسنا للفكرة.

الأمر الثالث أنني وبعض الزملاء اهتممنا بالاستمرار في الكتابة على صفحات الموقع حول حركات مناهضة الحرب والعولمة، وقد اهتممت في هذا الإطار بوجه خاص بالتعريف بالقوى المناهضة وأنشطتها المختلفة وهو الأمر الذي أتحت فيه

بعض الملفات والمقالات لكن الأمر أيضا لم يستمر للأسف الشديد لعدم تشجيع الإدارة، لكن الاهتمام استمر وإن نام وصحا خلال تلك الأعوام على فترات متباعدة، يصحو مع الأحداث الساخنة كالعدوان الإسرائيلي على لبنان، ثم على غزة، ثم لا يلبث أن ينام مع هدوء الأحداث.

ويرتبط بهذا الأمر وإن كان قد سبقه من حيث الزمن ببضعة أشهر، طرحي في أحد المقالات لفكرة "الدبلوماسية الشعبية" كأحد البدائل التي يمكن أن تمثل مجالاً لنضال شعوب العالم العربي والإسلامي نصرة لقضايانا (وإن كانت الفكرة قد طرحت لنصرة القضية الفلسطينية) وذلك بدلاً من موجات التفاعل والانفعال العاطفي المؤقت كلما ارتفعت وتيرة الأحداث، ثم الانخراط في نوم عميق انتظارًا لأحداث (مجازر أو عدوان أو غيره) أخرى، وتقضي الفكرة بضرورة أن يتسلح الشباب المتحمس لتلك القضايا بالمعارف والمهارات واللغات التي تسمح له بالتواصل والنضال الدبلوماسي السلمي نصرة لتلك القضايا من خلال التفاوض والحوار الشعبي، ومن خلال مراقبة الإعلام وغيرها من الوسائل، وهي الفكرة التي كنت قد طرحتها عقب ردود الفعل الجماهيرية على مذبحة جنين عام ٢٠٠٢، ثم تحولت بعد سنين من مجرد فكرة طرحت وتاهت في غياهب الزمن إلى دورة تدريبية إلكترونية نظمها مركز تواصل للتدريب أحد أهم ثمار تجربة إسلام أون لاين عام

٢٠٠٩، وشجعتني الدورة أن أحاول تقديم تاريخ الدبلوماسية الشعبية، فأخذت نموذج "مصطفى كامل" كأول دبلوماسي شعبي، وحللت تجربته في مقال نشر على الموقع. وكان أحد الموضوعات التي يدرسها المنتظمون في الدورة.

وحدة البحوث والتطوير.. ساحة جديدة للعمل:

بعدما انتهت تلك الجملة الاعتراضية في مرحلة عملي رئيسًا للقسم الثقافي والعلمي بالموقع، تفتحت الآفاق لمكان جديد للعمل داخل الموقع، وهو مكان كانت قد نبتت فكرته خلال نقاش دار بيني وبين بعض الزملاء في الموقع، ورأيت فيه تطويرًا لفكرة "وحدة تحليل الخطاب" والتي كانت قد نشأت قبل ذلك للمتابعة الذاتية لما يتم نشره، حيث قدمنا تصورًا لوحدة للبحوث والتطوير تهتم بعدة أمور منها:

- توثيق الخبرات التحريرية والاستشارية لصفحات الموقع ضمانا للنقل السليم لخبرات الموقع للأجيال الجديدة من العاملين، وبناءً على الخبرة المتراكمة للموقع ووضعها في صور قابلة للنقل إلى الآخرين، سواء في داخل الموقع بنقل خبرة العمل التحريري من جيل إلى جيل عبر أدلة عمل لكل نطاق من نطاقات الموقع، أو في خارج الموقع من خلال دراسات تحليلية للاستشارات الاجتماعية والنفسية تعين على الخروج بالخبرة في

شكل أدلة وتدريبات سواء في المجال الاجتماعي/ النفسي أو في المجال الإعلامي.

- الاهتمام بدراسات الإنترنت خاصة في علاقتها بالمضمون وفي تأثيراتها الاجتماعية والنفسية، ومتابعة كل ما يستجد في هذا الشأن، وكان اهتمامي بهذا الجانب قد تصاعد من خلال النقاشات التي كانت تدور في مجلس التحرير العربي لعجلاصا بالقضايا الاجتماعية والنفسية وتأثيرات الإنترنت في بعضها، ومن خلال النقاشات التي كانت تدور بيني وبين زوجتي التي صارت مع الوقت مستشارة اجتماعية ونفسية للقسم الاجتماعي، وقبل ذلك كله من خلال مروري بتجربة لإدمان الإنترنت بلغت الأوج في الفترة ما بين نوفمبر ١٩٩٩ وأكتوبر ٢٠٠٠، حينما كنت "محدث نعمة" الدخول إلى عالم الإنترنت، وأحدثت بعض التأثيرات الاجتماعية والنفسية، وموضوع إدمان الإنترنت هو من القضايا التي يمكن أن تقع في نطاق اهتمامات القسمين العلمي والاجتماعي، ومن ثم فقد قدمت الزميلة نادية العوضي مقالاً حول الأمر في الصفحة العلمية، كما قمنا بإعداد مقياس لإدمان الإنترنت يستطيع الشخص من خلاله أن يعرف هل هو مدمن إنترنت أم لا.

- تحليل المضمون المقدم على الموقع وإجراء استبيانات دورية عليه، وتقديم الدعم لمن يقومون بإجراء بحوث ودراسات

حول محتوى إسلام أون لاين، ناهيك عن رصد تلك البحوث والدراسات.

- القيام بدراسات تحليلية/ نقدية للخطاب الإسلامي المعاصر، تساهم في صياغة الموقع لرؤى تطويرية لتلك الخطابات.

- المشاركة في تقديم بعض الأوراق الخلفية للإدارة بما يساهم في تطوير أداء الموقع، وتقديم بعض الأوراق البحثية في الندوات والمؤتمرات استنادًا لمحتوى الموقع التحريري والاستشاري.

وقد أثمرت تلك الفترة عن صدور عدد من أدلة عمل النطاقات، ودراسات حول التدين الجديد، وبعض التحليلات الاستقرائية للاستشارات، ساعدت في إعداد كتب وتدريبات، وكانت نواة لفكرة تأسيس مركز تواصل للتدريب، كما تم في تلك الفترة إجراء تحليل لبعض الاستبيانات التي تتناول عمل الموقع، ومعاونة عدد من الباحثين في الجامعات المختلفة الذين كانوا يقومون ببعض الدراسات (ماجستير ودكتوراه) على محتوى إسلام أون لاين.

موقع الأسرة السعودي.. نقطة ومن أول السطر:

كانت تجربة موقع الأسرة السعودي من أقسى تجاربي في إسلام أون لاين، كانت المؤسسة قد كبرت وصار بها إدارة للمشاريع، تنشئ مواقع لصالح الغير وقد تديرها تحريريًا وتقنيًا، وقد كان موقع الأسرة مشروعًا لإدارة المرأة والأسرة بالسعودية وكان هناك تفاؤل بنجاح المشروع وبتمكني من استثمار كل ما اكتسبته من معارف وخبرات وتطبيقه في مساحة موضوعية محددة "المرأة والأسرة"، ومن ثم تم انتقاء وتعيين فريق عمل للموقع العربي بدأ يعمل ويجهز موضوعات لانطلاق الموقع، على أمل أن يتحرك المشروع ونستكمله بتعيين فريق للموقع الإنجليزي، لكن كعادة الكثير من المشاريع الخليجية توقف التمويل فترة مع وعد باستئنافه، ووعود للعاملين بالاستمرار، وظللنا خلال شهور الانتظار تلك نجهز لإطلاق الموقع ثم خبت وعود استمرار التمويل، وتقرر إنهاء المشروع بعد أكثر من عام من العمل، وكانت فترة البحث عن بدائل للعاملين في داخل المؤسسة فترة عصيبة كنت أحس فيها بمسئولية عن هؤلاء الشباب الذين "عشمناهم بالحلق فخرموا وداهم"، وهو الأمر الذي لم ينته دون ضحايا، لكنه انتهى وشيء ما في نفسيتي قد انكسر، وبعد هذا العام بقيت تقريبًا بلا مهام واضحة أو بمهام

دون متابعة ما يقرب من عام آخر، حتى انتقلت لوظيفة رئيس تحرير تنفيذي لموقع مدارك، ثم لموقع نماء؛ كي أعود بها إلى شيء ما قريب من اهتمامي بالعمل الأهلي من أجل التنمية.

رابطة الإعلام العلمي حلاوة الأمل.. ووعثاء العمل

وقبل أن أستكمل المسيرة إلى المحطة الأخيرة، أحب أن أتوقف عند خط موازٍ، حيث كان خط تأسيس وتفعيل "الرابطة العربية للإعلاميين العلميين" أحد المسارات المهمة التي نبعت من وحي العمل ومن رأس الفريق العامل في القسم العلمي بإسلام أون لاين، وقد مرت مسيرة الرابطة بعدة مراحل ومحطات مهمة منذ كانت فكرة حتى صارت واقعًا معقدا:

- المحطة الأولى – الفكرة والأمل: لاحت الفكرة لأفراد الفريق العامل في القسم العلمي بإسلام أون لاين والمكون من كاتب السطور والزميلات بثينة أسامة وهال لاشين ونادية العوضي، وذلك عندما عادت الأخيرة من سفرة إعلامية علمية كانت تحضر فيها المؤتمر الدولي للمياه في اليابان وجاءت تلك السفرة مصادفة ونحن نعمل في ساحة مناهضة الحملة الأمريكية في مارس من عام ٢٠٠٣، وكان لتلك السفرة فضل في تعرف الدكتورة نادية على وجود رابطتين عالميتين، إحداهما للإعلاميين البيئيين والأخرى للكتاب العلميين في العالم، ومن ثم

لاحت لنا فكرة تأسيس رابطة عربية للإعلاميين العلميين من خلال حديث زميلتنا المتحمس عن المؤتمر والروابط العالمية، ثم من خلال تعرفنا عبر الإنترنت على وجود رابطة ثالثة هي الاتحاد الدولي للإعلاميين العلميين والذي هو عبارة عن اتحاد للروابط القومية والإقليمية، ومن ثم تأكد العزم على تأسيس رابطة عربية تخدم تطوير المهنة والارتقاء بأربابها، ولكن كان السؤال الأهم هو: كيف؟ ومن هنا يأتي الحديث عن التأسيس.

- المحطة الثانية – مخاض التأسيس: حيث تأسست الرابطة أولاً كمجموعة إلكترونية ضمن مجموعات موقع "ياهو" العالمي الشهير في عام ٢٠٠٣، ثم استطعنا الحصول على عضوية الاتحاد الدولي للإعلاميين العلميين عام ٢٠٠٤ حينما سافر كل من الزميلة نادية العوضي والزميلة بثينة أسامة لحضور المؤتمر الدوري للاتحاد الدولي والذي عقد ذلك العام في مونتريال بكندا، وحصلت خلاله الزميلة نادية على عضوية مجلس إدارة الاتحاد، وخلال تلك الفترة أيضًا عانينا بحثًا عن إطار قانوني وبلد أو مظلة للتأسيس ما بين الجامعة العربية ومصر ولبنان فإذا كنا لم نستطع أن نؤسسها في الجامعة العربية، فقد عاقنا في كل من مصر ولبنان أننا كنا مُصرِّين على ألا تكون الرابطة قُطرية وأن تكون عربية كما تمنينا من البداية – بآمالنا الوردية وخبرتنا

القليلة في العمل العام، لكن القوانين أعاقت ذلك، ومن ثم ظللنا نبحث عن مظلة تتبنى "إسلام أون لاين" التي احتضنت الفكرة متمثلة في أصحابها بتقديمها الدعم اللوجستي للرابطة، وإتاحتها لبعض التفرغ لأعمالها منذ بداية عمل الرابطة وحتى تاريخ كتابة تلك السطور متمثلاً في إدارة الموقع آنذاك للفكرة الاستقلالية المفضلة لاستمرار الدعم والحفاظ على الذي تستطيعه دون الانحياز، وأخيراً وفي عام ٢٠٠٦م التقت الدكتورة نادية بأحد أعضاء مجلس إدارة المؤسسة العربية للعلوم والتكنولوجيا في أحد المؤتمرات العلمية في إيطاليا وحدثتهم عن الرابطة، وحدثوها عن اهتمامهم بالإعلام العلمي، ثم وخلال ٧ أشهر من الحوار في النهاية تم توقيع عقد تأسيس الرابطة كإحدى شبكات المؤسسة في مؤتمرها الدولي، والذي انعقد في دمشق وذلك بتاريخ ٢٣ ديسمبر ٢٠٠٦، ومن ثم بدأت مرحلة التأسيس الرسمي للرابطة.

- المحطة الثالثة: وعثاء العمل: تم انتخاب أول مجلس إدارة للرابطة في شهر يوليو عام ٢٠٠٦، قبل التأسيس الرسمي، وبعد ذلك التأسيس أعيد تسجيل الأعضاء وفق استمارة عضوية جديدة ونظام أساسي جديد، وتم إنشاء مجموعة إلكترونية جديدة مخصصة لأعضاء الرابطة فقط، كان العمل في

المجلس يسير بشكل لا بأس به، فقد أصدرنا "دليل الإعلامي العلمي العربي" والذي ساهم فيه ١٨ إعلاميًا علميًا، كل في مجال خبرته، ونظمنا ندوتين علميتين للجمهور في ساقية الصاوي، ونظمنا أول جائزة عربية للإعلام العلمي، وأول مؤتمر عربي للإعلام العلمي على هامش مؤتمر المؤسسة العربية الدوري في فاس بالمملكة المغربية، وكنا نتباحث في مشاريع أخرى لتأسيس موقع إخباري علمي، وإعداد برنامج تلفزيوني علمي، مع التفكير في مشاريع أخرى للنشر، كإصدار تقرير عربي دوري عن "حالة الإعلام العلمي العربي"، لكن الخلافات بدأت تدب في المجلس، وإن كانت قد بدأت صغيرة وفي أمور تافهة أو على الأقل كانت يمكن بالتسامح أن تمر، لكن التشبث بالآراء واللدد في الخصومة، والرغبة في الانتصار للذات، أوصلنا إلى حالة مستمرة من الخلاف، حتى بعد أن انتهت مدة المجلس الأول، وانتقلنا لمجلس آخر، توليت رئاسته منذ يناير ٢٠٠٩، ظلت بعض الأطراف تصر على إشعال الفتنة في صفوف أعضاء الرابطة، وجعل أساليب الخلاف المستهجنة سمة في كثير من حواراتهم وطرائق طرحهم لآرائهم التي وإن كانت تحتوي على بعض الصواب بلا شك إلا أن أساليبهم لم تدع للناس مجالاً للاتفاق مع بعض الحق الذي لديهم، الأمر الذي جعل الكثيرين يحجمون عن المشاركة بسبب الأجواء الملبدة بالغيوم التي باتت

تعكر صفو الكثير من النقاشات والتي ما إن تبدأ علمية أو إجرائية موضوعية إلا وتنتهي شخصية، وعلى الوجه الآخر تعامل البعض مع الرابطة على أنها وكالة للسفريات أو دكان لتوزيع الغنائم إن لم تأت لهم أو ذهبت لغيرهم خاصمونا، وعلى الرغم من بعض الإنجازات التي تمت إلا أن هذا الجو الملبد بالغيوم جعل العمل في تلك الأجواء أمرًا عسيرًا، فتبددت بذلك أحلام كثيرة كنا نؤملها من تلك المبادرة.

نماء.. عود على بدء

بعد أن طفت في وحدة البحوث وموقع الأسرة، وبعض من التيه المؤقت داخل إسلام أون لاين عدت "والعود أحمد" إلى مشروع لتأسيس موقع نماء ضمن سلسلة المواقع المتخصصة التي كانت قد بدأت تخرج من عباءة موقع إسلام أون لاين العربي، كمواقع "مدارك" و"الإسلاميون"، إضافة إلى مشاريع مواقع كان يتم الإعداد لإطلاقها مثل مواقع "الأمة اليوم" و"مستشارك" و"صوت وصورة"، إضافة إلى موقع "نماء"، والذي هو في الحقيقة تطوير لصفحة "نماء" التي كانت موجودة منذ مرحلة تأسيس إسلام أون لاين، وتراوحت بؤرة اهتمامها بين الاقتصاد بمعناه الكبير بمؤشراته وأرقامه التي كانت ربما لا تعني إلا فئة محدودة من الجمهور، وبين الاقتصاد المعيشي وسبل تحقيق الإنسان لاحتياجاته الأساسية في ظل البطالة والأزمات الاقتصادية، بعيدًا عن لغة الأرقام الكبرى في الدخل القومي وما إليه مما لا يعبر عن حقيقة معيشة الناس ولا يلبي احتياجاتهم، وقد دخلت حينما تسلمت عملي رئيسًا للتحرير التنفيذي لموقع نماء المزمع إنشاؤه في نقاشات مطولة مع الزميلة بثينة أسامة مدير التحرير، بهدف توسيع بؤرة الاهتمام قليلاً، لا لكي تحتوي وتعبر فقط عن الاحتياجات المعيشية للإنسان الفرد، ولكن لكي تغطي دائرة تشمل إضافة إلى ذلك المجتمع المحلي ومؤسساته الأهلية والمنشآت والمشاريع الصغيرة، حيث إنني

كنت قد وصلت من خلال رحلتي إلى قناعة مفادها أن من أهم سبل تحقيق الإنسان لاحتياجاته الأساسية هو تضافره وتعاونه الطوعي في إطار تنظيمات أهلية تعمل لسد تلك الاحتياجات وحل المشكلات الحياتية المعيشية، وقد أخذ ذلك منا وقتًا في النقاش والجدل، حيث كانت وثيقة "نماء" قد وضعت حينما كنت في التيه فيما بعد موقع الأسرة أو أثناءه، وكان وكأنه استقر على أن يكون الإنسان الفرد هو بؤرة الاهتمام، وكنت أرى أن ذلك يكرس الفردانية **individualism** وهي مرض تكرسه الحياة المدنية الحديثة، وينبغي ألا نعمقه أكثر بالتركيز فقط على الإنسان الفرد والحلول الفردية لمشكلاته، الأمر الآخر الذي أثار الجدل والنقاش أنني لم أرد أن يكون التركيز فقط على الاحتياجات الاقتصادية وإنما يشمل توفير متطلبات أخرى لابد لها من تنميته وتنمية مجتمعه وتلبية احتياجاتهم وحل مشكلاتهم، وتحدثت على سبيل المثال عن البعد التنموي في العلوم والتكنولوجيا وكيف يمكن أن تفعل ذلك، إضافة إلى التعليم والتدريب المستمر كأداة لا غنى عنها لتنمية الفرد والمجتمع، وقد مضيت خلال فترة عملي بصفحة/ مشروع موقع نماء منذ منتصف ٢٠٠٨ تقريبًا وحتى تسونامي إسلام أون لاين منذ نهايات فبراير ٢٠١٠، أكتب ما أراه مناسبًا وأحاول دفع العمل التحريري في الصفحة في هذا الاتجاه.

"تسونامي" إسلام أون لاين

كنت قد شرعت في تدوين الجزء الثاني من هذه الرحلة قبل أن تتضح ملامح ما كان يحاك للموقع من قبل بعض أعضاء مجلس الإدارة في جمعية البلاغ القطرية المالكة للموقع، والآن أكتب وقد بدت ملامح ما يراد واضحة بلا لبس، فقد دخل هذا البعض- في غفلة من الزمان- مجلس الإدارة بدعوى دعم ميزانية الموقع، لكنهم دخلوه أيضًا بشروطهم، وهم يُبيتون الغدر به وتصفيته بدعوى تطويره، دخلت تلك المجموعة مدعومة ببعض أركان الدولة القطرية وأحد كبار رجال الأعمال فيها لتدمر الموقع الذي خط له طريقًا مهنيًا متميزًا لمشروع إعلامي يحمل فكر الوسطية الإسلامية طيلة عشر سنوات ونيف، واستعانت تلك المجموعة بسحب من دخان الغموض يغلف نياقم شهورًا، متعللين بمبررات وإطلاق شائعات ليعيش العاملون معها في قلق شهورًا، ثم فجأة أسفروا عن وجههم في فبراير من هذا العام ٢٠١٠، بمجموعة من القرارات التعسفية المتعجرفة، لم تقبلها قيادات إسلام أون لاين، فاستخدمت تلك المجموعة الضغوط على باقي عناصر مجلس الإدارة وأساليب فرق تسد بين العاملين، واتخذت من الإجراءات العملية التي لا تعني سوى الشروع في تصفية الموقع وإرهاب كل صوت معارض لذلك، مستخدمة أسوأ العناصر وأكثر الأساليب ابتعادًا عن الأخلاق والمبادئ، فكانت وقفة

العاملين منذ ١٥ مارس ٢٠١٠ معتصمين ضد الإدارة القطرية، محافظين على تراث محتوى الموقع ورسالته الوسطية، مدافعين عن حقوقهم المادية والأدبية لدى تلك الإدارة، مصممين على المضي قدمًا في رسالتهم حتى ولو من خلال موقع آخر، "فنحن الذين صنعنا لإسلام أون لاين اسمه، ولم يصنعنا الاسم"، وإن صنعتنا المدرسة التي كنا فيها الأساتذة والطلاب معًا، فإذا كان الإخوان مدرستي الأولى في الحياة العامة وحمل الهمّ العام والاهتمام بشئون الأمة، فقد كانت إسلام أون لاين هي المدرسة التي مارست فيها التعبير عما تعلمته في حياتي خدمة لوطني وأمتي وإنسانيتي، وتعبيرًا عن مشروعي الفكري الذي يرى أن الناس والأمة والمجتمع هم صانعو حاضرهم ومستقبلهم أو هكذا ينبغي لهم، وأنه إذا كانت الحكومات قد تقاعست عن الحفاظ على مصالح الناس ودرء المفاسد عن حياتهم بالطريقة والفاعلية الواجبة، فإن على الناس من خلال تنظيماتهم الأهلية السلمية والطوعية أن يفعلوا ذلك بأنفسهم، ومن ثم فإنه إذا كنت من خلال إسلام أون لاين قد عثرت على ذاتي في رحلتي الطويلة سعيًا وراءها، فإنني في إسلام أون لاين، ومن خلال ما تعلمته خلال عشر سنوات قد استطعت أن أبلور مشروعي، الذي أساهم به في نهضة بلادي وأمتي، مساهمة في إنهاض الناس من خلال "العمل الأهلي" كي يحققوا نهضتهم واستقلالهم بأيديهم.

مشروع نهاية الرحلة..

العمل الأهلي من أجل الإصلاح والنهضة

كانت هذه إذًا هي ملامح المشروع الذي شعرت بعد سنين قضيتها أكتب هنا وهناك في صفحات الموقع أنه لي وأنا له، ومن ثم شرعت بداية من عام ٢٠٠٩ في بلورة ذلك المشروع فيما أسميته "رسائل في الإصلاح والنهضة" صدر منها حتى كتابة تلك السطور ٦ كتب* (وفي انتظار الكتاب السابع)، وتتبدى ملامح هذا المشروع الآن أمامي كما يلي:

- المساهمة بالكتابة والحديث والتشبيك وكل وسائل بناء الوعي في مشروع الإصلاح والنهضة والذي يتمثل لدي في:

• ترميم وإعادة بناء الإنسان، عقل ووجدان الإنسان العربي (من خلال التربية والتعليم والإعلام والتدريب وغيرها) بما يساهم في تحقيق الاستقلال والنهوض وفي القلب من ذلك البناء الروحي والأخلاقي لذلك الإنسان.

• العمل على تحقيق مقاصد الشرع والعقل في "حفظ المجتمع" بما يساهم في تماسكه ويقوي شبكات العلاقات الطبيعية للمجتمع وبما يزيد من فعالية "رأس المال الاجتماعي".

- بناء الاقتصاد الحقيقي للأمة (زراعة وصناعة وتجارة وخدمات) بناءً يضمن للأمة استقلالها ويحقق نهضتها.

- تفعيل وتحقيق كل ذلك من خلال إحياء الأمة بإحياء تنظيماتها الأهلية الطوعية والسلمية التي تضع نصب عينيها تحقيق كل ما سبق، وتضمن أن يصب كل ذلك في تحقيق نهضة واستقلال الأمة.

- الاستفادة في كل ذلك من خبرات وتجارب الماضي والحاضر، سواء لدى الأمة ذاتها أو لدى غيرها، فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها.

- أن يكون استقلال الأمة ونهضتها سبيل لاستعادة الأمة لدورها الإنساني والذي يعيد تشكيل "العولمة" بما يجعلها أداة لتحقيق عالم أكثر عدلاً وسلامًا، عالم يتحقق الإنسان فيه من إنسانيته القائمة على الحرية في ظلال الإيمان والأخلاق.

هذه هي ملامح المشروع الذي تكونت ملامحه أمامي بكثرة القراءة والكتابة والتأمل والتفكر والتدبر، والذي أرى دوري فيه هو المساهمة في تحقيقه من خلال كتاباتي ونشاطاتي وتحركاتي، والتي آمل أن تكون كلها خالصة لوجهه الكريم، وأن يظل حماسي للوفاء بأدائها قائمًا عندي حتى ألقاه.

مبادرات لتحقيق المشروع

كي لا أجعل من الحديث حول الإصلاح والنهضة مجرد دعوة أو دعوى، آثرت أن أطلق بعض المبادرات التي من شأنها أن تجعل من ذلك الكلام واقعًا عمليًا ولو جزئيًا، خاصة بعد أن تبددت الكثير من الأحلام التي كانت معلقة على "الرابطة العربية للإعلاميين العلميين"، ومن ثم فقد تبنيت بعض المبادرات بداية من هذا العام ٢٠١٠:

- الملتقى المصري للتنشئة العلمية: وهو ملتقى يهدف إلى تقديم خبرات وتجارب عملية في مجال التنشئة والثقافة العلمية التي تستهدف النشء وذلك بهدف التعارف والتشبيك بين أصحاب تلك المبادرات وتعريف المهتمين من الناشطين وأولياء الأمور وأصحاب المدارس بتلك البرامج والمشروعات، وقد عقد الملتقى ٥ لقاءات شهرية بداية من يناير ٢٠١٠، قدم فيها ٨ برامج ومسابقات وفعاليات في مجال التنشئة العلمية (مرفق الوثيقة التعريفية بالملتقى)، ويسعى الملتقى إلى إصدار دليل تعريفي ببرامج التنشئة العلمية في مصر، كما يحلم بتنظيم يوم مصري للتنشئة العلمية.

- صالون نماء: وهو ملتقى بدأنا في تنظيمه بساقية الصاوي أيضًا بداية من يناير ٢٠١٠ لعرض تجارب وخبرات

المؤسسات والمبادرات الأهلية في مجالات موضوعية مختلفة، كان الصالون ينظم تحت اسم موقع نماء في إسلام أون لاين، وقد نظمنا منه حلقتين: الأولى كانت مع العالم الأستاذ الدكتور حامد الموصلي بعنوان "ثروة هائلة من مواردنا المهدرة"، أما الحلقة الثانية فكانت بعنوان "دور القروض الصغيرة والمتناهية الصغر في التنمية"، قدمنا فيها خبرات "صندوق عمر" و"عم صبري"، وكنا قد رتبنا لحلقة ثالثة حول الإسكان المتوافق والمنخفض التكاليف، لكن تسونامي إسلام أون لاين جاء وعصف بها.

– مبادرة "سند".. العمل الأهلي من أجل التنمية: وهي مبادرة كان يراودني التفكير فيها منذ فترة، خاصة بعدما التقيت العديد من مجموعات الشباب من الأجيال التي جاءت بعد تجربة "جمعية رسالة"، أو التي تأثرت ببرنامج "صناع الحياة"، كانت تلك المجموعات قد طالعت كتابي حول "تجربة بنك الفقراء"، كانت تلك المجموعات تحاول أن تتلمس طريقها لبداية عمل أهلي تنموي، ومن ثم قدمت لهم بعض الاستشارات وعرفتهم ببعض ذوي الخبرات وأصحاب التجارب ليساعدوهم فيما يرغبون، وقد تجدد التفكير في المشروع حينما طرحه الصديق أيمن شحاتة على هامش صالون نماء الأول، والمبادرة الآن (مايو ٢٠١٠) ما زالت قيد التشكل، أتعاون فيها مع الصديق أيمن شحاتة وبعض الشباب الآخرين، وتهدف لتقديم الاستشارات

والتدريب والتأهيل والتشبيك لمبادرات العمل الأهلي، كما تهدف إلى دفع الجهود الأهلية كي تصب في نهر التنمية والنهضة، فمع اتساع رقعة العمل والمبادرات الأهلية خاصة الشبابية منها، ومع إحساسنا بحيرة هذا الشباب المبادر في كيفية بدء العمل والسير فيه بما يساهم في التنمية، وبما لا يجعل العمل الأهلي قاصرًا على فعل الخيرات، ومع حيرة هذا الشباب في أثناء مسيرة عمله الأهلي، ورغبته الدائمة في السؤال والاستشارة واكتساب الخبرة وحاجته للتعرف على تجارب مماثلة تعمل في نفس المجال، كل ذلك جعلنا نحس بالحاجة لتأسيس مبادرة تقوم بتلك المهام (مرفق التصور الأولي للمبادرة).

كلمة ليست ختامية

بينما أكتب تلك الخاتمة لهذه الرحلة بشقيها، لا أعرف إن كانت قد انتهت الرحلة أم ما زال فيها بقية، لكنني أعرف أن ما أنجزته في مجال المشروع على الأقل ليس بالشيء الكثير، لكن حسبي أنني قد وضعت قدمي على الطريق، في ظروف اتسع فيها الحراك الذي تشهده مصر ليشمل مجالات واسعة من الحياة، وذلك على الرغم من الوضع المتردي الذي وصلت إليه البلاد، إلا أن ما تموج به من حالة فوران الوعي وحمى الحركة يعطي أملاً لا ينمو ويكبر إلا بالعمل والجهد الذي يبذله كل منا؛ كي يثمر هذا الوعي وذلك الحراك عن استعادة بلادنا لمكانتها اللائقة بها؛ لذلك أعرف أن الغاية ما زالت بعيدة، وأنها ما زالت تتطلب نفسًا أطول وجهدًا أرشد، وهذا ما آمل أن أساهم فيه، وأن يؤتي ثماره في تقدم الأمة ونهضتها، وأن يكون لي من ثمراته نصيب أكبر في الآخرة.

ملاحق

وثيقة الشبكة العربية للإعلام البديل "شعاب"

الوثيقة التعريفية بالملتقى المصري للتنشئة العلمية

أفكار أولية حول مبادرة "سند"

الملحق الأول

وثيقة: الشبكة العربية للإعلام البديل "شعاب"

ونشرتها الإلكترونية: شعاب الحرية

قصة حياتنا:

في البدء كانت الساحة.. "ساحة مناهضة الحملة الأمريكية" كأحد الملفات الخاصة على موقع إسلام أون لاين.نت (الإصدار العربي)، وبعد أن مضينا في طريق العمل فيها شهرًا ونصف الشهر أحسسنا بسؤال الناس الحائر: ماذا نفعل؟ ومن ثم تشاورنا وحاولنا أن نصل إلى إجابة نُتيحَها للناس، ومن ثم أعدنا هيكلة الساحة وفقا لإجاباتنا عن التساؤل الحائر، وفي إطار تلك المرحلة من مراحل عملنا في الساحة ومن خلال الزاوية التي خصصناها لـ"الإعلام.. المراقبة والبديل" ولدت فكرة "الشبكة العربية للإعلام البديل" كأحد مجالات الفعل الممكن للناس، من أجل أن يخلق الناس وسيلة إعلامهم التي تعبر عن آرائهم والتي يرون فيها أخبارهم.

وقد جاء طرح فكرة الشبكة، ونشرة "شعاب الحرية" من خلال مقال نشر على صفحات الساحة بتاريخ ٢٠٠٣/٣/٢٧ تحت عنوان "الإعلام البديل.. المقاومة بالقلم والكاميرا"

http://www.islamonline.net/Arabic/In_D
.shtml٤٥/article٠٣/٢٠٠٣epth/wariniraq/

والتي أردنا أن تنقل "حركة الجماهير المعبرة عن الضمير الإنساني المناهض للحرب" وذلك كما تصورها أقلام

وكاميرات الجماهير، ومن ثم أصدرنا أربعة أعداد من "نشرة "شعاب الحرية" من خلال صفحات الساحة تحمل أصوات الناس "قدر الإمكان" معبرة عن حركتهم ومبادراتهم وآرائهم، وبخاصة فيما يخص مناهضة الحرب والعولمة.

ولأن ظروف العمل في الموقع اقتضت توقف الساحة باعتبارها ملفًا خاصًا ذا توقيتات محددة، فقد توقفت النشرة لعدة شهور، ثم ارتأى فريق العمل فيها أن يقوم بإصدارها كنشاط خاص في شكل نشرة إلكترونية، ومن ثم أصدر منها خمسة أعداد أخرى. وفي إصدارها الجديد ارتأى الفريق أن يكون تركيز النشرة على متابعة المبادرات الأهلية التي تهدف لدرء مفسدة أو جلب مصلحة إنسانية مشروعة من أجل عالم أكثر عدلاً.

الشبكة العربية للإعلام البديل "شعاب"

من نحن:

شبكة طوعية غير هادفة للربح تسعى لتكون صوتًا إعلاميًا على شبكة الإنترنت لمن لا صوت لهم باسم "شعاب الحرية"، صوت المظلومين والمقهورين والمستضعفين في الأرض، صوت الجهاد المدني لإقامة العدل ومناهضة الظلم بكافة أشكاله، نبتت الفكرة من وحي الحركة الإنسانية العالمية المناهضة للحرب على

العراق، وولدت الشبكة جنينا في رحم "ساحة مناهضة الحملة الأمريكية" بموقع إسلام أون لاين.نت، وإن كانت تحلم بأن تكسر جدار البيضة وتخرج للنور كائنًا مستقلاً.

قواعد العمل:

عربية اللسان.. إنسانية الوجهة والاهتمام، مناصرة العدل أيًا كان مصدره، ومناهضة الظلم أيًا كان مصدره، السعي من خلال الإعلام ليكون عالمنا عالمًا أكثر عدلاً، تحكمنا القيم الإنسانية العليا التي تحض عليها جميع الأديان، لا تسمح بتجريح العقائد أو الأديان عبرها، لا تحصر نفسها في فكر حركة أو جماعة أو حزب، وليست لسان حال أيّ منها، لكنها تنفتح على كل الأفراد والمجموعات والحركات الأهلية، التي تسعى لإقامة العدل ونبذ الظلم بالوسائل السلمية.

الأعضاء:

كل من يكافح من أجل نفس الهدف، ويرعى قواعد العمل من الأفراد والمجموعات والحركات الأهلية.

لقراءة فكرة النشرة ومبادرة إصدارها راجع:

الإعلام البديل المقاومة بالقلم والكاميرا

ولقراءة الأعداد الأربعة الأولى من النشرة ارجع إلى:

http://www.islamonline.net/Arabic/In_D
.shtml٠٥/article٠٤/٢٠٠٣epth/wariniraq/

http://www.islamonline.net/Arabic/In_D
.shtml١٣/article٠٤/٢٠٠٣epth/wariniraq/

http://www.islamonline.net/Arabic/In_D
.shtml١٩/article٠٤/٢٠٠٣epth/wariniraq/

http://www.islamonline.net/Arabic/In_D
.shtml٢٤/article٠٤/٢٠٠٣epth/wariniraq/

أسرة تحرير النشرة:

مجدي سعيد-داليا يوسف-علي عبد المنعم-رانيا الشاعر-بثينة أسامة

شاركونا:

في تزويد النشرة بأخبار المبادرات الأهلية التي تسعى لدرء المفاسد أو تحقيق المصالح الإنسانية العامة من أجل عالم أكثر عدلاً.

المراسلة على: **magdyas@hotmail.com**

الملحق الثاني

الوثيقة التعريفية للملتقى المصري للتنشئة العلمية

Egyptian Forum for Scientefic Upraising

تمهيد

- استقرت المعرفة والخبرة البشرية لدى جميع الحضارات وفي جميع العصور على أن العلوم والتكنولوجيا هي إحدى أهم ركائز النهضة والتنمية في أي مجتمع.

- من المعلوم أن العلوم والتكنولوجيا في أي مجتمع هو منظومة تتكون من: التعليم العلمي، والبحث العلمي، والنشر العلمي الأكاديمي، والجمعيات العلمية الأكاديمية، كما تتكون من التنشئة والثقافة العلمية، والإعلام العلمي، إضافة إلى الأغراض التطبيقية للعلوم والتكنولوجيا في مجالات الزراعة والصناعة والتجارة والخدمات وغيرها، وأن كل تلك المنظومة لابد أن تكون مترابطة متفاعلة فيما بينها ومرتبطة بالواقع المعاش بمشكلاته واحتياجاته.

- تعتبر أنشطة وفعاليات التنشئة والثقافة العلمية والتي يجب أن تعتمد بالأساس على النشاط الأهلي متضافرًا مع الدعم

الحكومي ومتعاونًا مع مؤسسات الأعمال الخاصة والمؤسسات الدولية المعنية هي أضعف حلقات منظومة العلوم والتكنولوجيا العربية، حيث تعرضت تلك الحلقة لموجات من الصعود والهبوط، حيث كانت آخر موجات الصعود في هذا المجال مع نشاط نوادي علوم الأهرام وذلك في حياة رائدها الراحل صلاح جلال، لكن تلك الموجة خبت وذهبت حرارتها بوفاة صاحبها المؤسس، وإن بقيت أشكال ليست حيوية من تلك النوادي.

- لكن خلال الأعوام القليلة الأخيرة ظهرت بعض النبتات الناشئة في هذا المجال، مع تزايد الوعي التنموي والنهضوي لدى الشباب.

- ولأن ملتقيات ومنتديات التداول في الشئون العامة للمجتمع في المجالات الموضوعية التخصصية من أهم وسائل تفعيل العمل في تلك المجالات حيث يجري على ساحتها التعارف وتبادل الخبرات والتشبيك بين مكونات العمل في ذلك المجال التخصصي.

بناءً على كل ما سبق فقد دعت "الرابطة العربية للإعلاميين العلميين" ممثلة في رئيسها الحالي الدكتور/ مجدي سعيد إلى

اجتماع تأسيسي لـ"الملتقى المصري للتنشئة العلمية" والذي انعقد بالقاهرة يوم الإثنين ٤ يناير ٢٠١٠.

رسالة الملتقى:

العمل على دفع عجلة أنشطة وفعاليات التنشئة العلمية في مصر، حتى تصبح العلوم والتكنولوجيا شأنًا ومطلبًا شعبيًا عامًا.

أهداف الملتقى:

- التعارف بين الشخصيات والمؤسسات الأهلية والفعاليات الحكومية والخاصة والخبرات الدولية في مجالات التنشئة والثقافة العلمية.

- تبادل الخبرات بين التجارب المصرية والدولية المختلفة في هذا المجال.

- التشبيك بين الشخصيات والفعاليات الأهلية والحكومية والخاصة والدولية في مجالات التنشئة والثقافة العلمية.

- التعاون بين الفعاليات المصرية المختلفة في مجال التنشئة العلمية.

أنشطة وفعاليات الملتقى:

- عقد لقاء دوري يضم الشخصيات والفعاليات المختلفة في هذا المجال وذلك يوم الاثنين الأول من كل شهر ميلادي من الساعة العاشرة صباحًا إلى الساعة الواحدة ظهرًا.

- يتم في كل لقاء من تلك اللقاءات عرض تجربتين من تجارب التنشئة العلمية، ومناقشة قضية من القضايا المتعلقة بالتنشئة العلمية في مصر، ومن ثم إعطاء فرصة للتعارف وعقد اللقاءات بين أصحاب تلك التجارب.

- السعي لإصدار دليل لبرامج التنشئة العلمية في مصر.

- السعي لتنظيم يوم مصري للتنشئة والثقافة العلمية، يقام على هامشه مؤتمر ومعرض ومهرجان ثقافي وفني علمي.

- السعي لإعداد جائزة مصرية دورية للشخصيات والفعاليات المصرية في مجال التنشئة والثقافة العلمية.

المؤسسات والفعاليات التي حضرت اللقاء الأول (٤ يناير ٢٠١٠):

- الرابطة العربية للإعلاميين العلميين.

- مسابقة آيسف-مصر (قامت بعرض تجربتها).

- مسابقة مدينة المستقبل/ الفرع المصري الشبابي للجمعية الدولية لمهندسي الكهرباء والإلكترونيات.

- الجمعية المصرية لعمارة الأرض – تجربة المعماري الصغير.

- جمعية مصر المحروسة بلدي/ المركز الاستشاري لتطوير وجودة التعليم.

- نموذج محاكاة جائزة نوبل/ جامعة حلوان (قام بعرض تجربته).

- الجمعية العربية لمصممي الفنون التطبيقية.

- مبادرة طلاب كلية الهندسة جامعة عين شمس "ميكا".

- الشركة الهندسية للإلكترونيات والكهرباء – تجربة المخترع الصغير.

التجارب التي قامت بالعرض خلال لقاءات الملتقى:

- اللقاء الأول – يناير ٢٠١٠: تجربة نموذج محاكاة جائزة نوبل – تجربة مسابقة آيسف مصر.

- اللقاء الثاني – فبراير ٢٠١٠: تجربة برنامج المخترع الصغير - تجربة برنامج المعماري الصغير.

- اللقاء الثالث – مارس ٢٠١٠: تجربة برنامج "نادي ميكا" لطلاب كلية الهندسة جامعة عين شمس (http://mecaclub.org/new/).

- اللقاء الرابع — إبريل ٢٠١٠: تجربة مسابقة مدينة المستقبل - تجربة مجلة ناشيونال جيوجرافيك للشباب.

- اللقاء الخامس — مايو ٢٠١٠: تجربة مسابقة الروبوت الدولية FLL (وينظمها الفرع الشبابي المصري للجمعية الدولية لمهندسي الكهرباء والإلكترونيات).

موقع الملتقى وصفحته على الفيسبوك:

أولا- الموقع: www.Egfsu.org

ثانيا- الصفحة على الفيسبوك:

http://www.facebook.com/group.php?ref=mf&٢٥٦٥٠٥٠٨٢٤٤٤gid=

الملحق الثالث

أفكار أولية حول: مبادرة "سند"

"العمل الأهلي من أجل التنمية"

الفكرة: تأسيس "مؤسسة أهلية" لدعم وخدمة وتنمية العمل الأهلي في مصر

روافد نشأة الفكرة:

- هناك اهتمام من الأجيال الجديدة من الشباب بالعمل الأهلي، كما أن هناك موجات من المؤسسات الأهلية التي ترغب في التحول من القيام بالدور الخيري فقط إلى القيام بدور في التنمية المستدامة.
- لجوء الكثير من الشباب إلى البحث عن أفكار واستشارات ومساعدات في بداية نشوء التفكير في العمل الأهلي، مما كشف عن حالة غياب وبحث عن الأفكار والخبرات والمعلومات الخاصة بالمؤسسات الأهلية.
- أشار تقرير العطاء الاجتماعي في مصر إلى نقطتين هامتين: أن الدافع الديني يأتي على قمة دوافع العطاء

الاجتماعي، وأنه على الرغم من ذلك فإن العطاء الاجتماعي في مصر يصب في خانة الإحسان أكثر مما يصب في خانة التنمية، وأن المشكلة تكمن في غياب الوعي بإمكانية توظيف الموارد المالية في التنمية انطلاقًا من الرؤية الإسلامية.

- عدم وجود جهة ذات مرجعية وطنية تقوم بمهمة توجيه وإرشاد ودعم ومعاونة العمل الأهلي بالرغم من أهمية هذا الجهد وقلة الموارد المطلوبة للقيام به.

المهام والخدمات المقترحة للمؤسسة:

- التدريب: التدريب في المساحات التي تؤدي إلى عمل أهلي أفضل يعمل بكفاءة أفضل وفي مساحات أوسع من الوطن ومن مجالات العمل، والتدريب في المساحات التي تغيب عن الساحة التدريبية، والتدريب بالشكل والطريقة التي تصنع مدرسة مصرية خاصة في العمل الأهلي، والتدريب باستخدام دراسات حالة، ونماذج للممارسة المثلى.

- التشبيك وتبادل الخبرات: من خلال عقد لقاءات للتشبيك بين المؤسسات العاملة في مجالات موضوعية مختلفة، وتبادل الخبرات فيما بينها (على سبيل المثال لا الحصر) البحث عن السبل الأمثل للتشبيك.

- توثيق خبرات وتجارب العمل الأهلي في مصر، وجمع الدراسات والكتابات التوثيقية في هذا المجال.

- العمل على نشر الثقافة والوعي الخاص بالعمل الأهلي التنموي باستخدام وسائل مختلفة (الإعلام – الندوات – النشرات – الكتب والكتيبات.. إلخ).

- تقديم خدمات استشارية: مثلاً في تحديد مجالات العمل وكيفية البدء في تأسيس عمل أهلي أو كيفية تطويره، أو الحصول على تمويل أو زيادة الموارد أو خلافه، أو حل مشكلات تواجه العمل... إلخ.

- إصدار دليل إرشادي لعمل المؤسسات الأهلية من أجل التنمية في مصر، من خلال ما نقدمه من استشارات وما نوثقه من خبرات وما نقدمه من دراسات حالة، دليل قائم على خلاصات الخبرة العملية للتجارب الأهلية محليًا وعالميًا.

التعريف بالكاتب

- مجدي علي سعيد
- من مواليد السيدة زينب بالقاهرة، سبتمبر ١٩٦١.
- تخرج في كلية الطب، جامعة القاهرة، عام ١٩٨٦.
- حصل على دبلوم الأنثروبولوجيا من معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، عام ١٩٩٦.
- يعمل كاتبًا ومحررًا بمشروعات شركة ميديا إنترناشيونال.
- يعمل رئيسًا لمجلس إدارة الرابطة العربية للإعلاميين العلميين منذ يناير ٢٠٠٩، وعضو مجلس إدارتها منذ يوليو ٢٠٠٦.
- مؤسس ومنسق "الملتقى المصري للتنشئة العلمية".
- أحد مؤسسي مبادرة "سند" لدعم العمل الأهلي في مصر.
- يمكن التواصل معه على البريد الإلكتروني:

magdyas@hotmail.com

نشرت له الكتب التالية:

١- الانتخابات الطلابية في الجامعات المصرية العام الجامعي ٨٨-١٩٨٩، نشر عام ١٩٨٩ بالاشتراك مع آخرين.

٢- ألبانيا بين الآمال والمخاطر – مركز الإعلام العربي – ١٩٩٤.

٣- تجربة بنك الفقراء (طبعتان)، الطبعة الأولى عن مركز يافا للدراسات والأبحاث بالقاهرة عام ١٩٩٩، والطبعة الثانية (مزيدة ومنقحة) عن الدار العربية للعلوم في بيروت عام ٢٠٠٧.

٤- دليل الإعلامي العلمي العربي (محرر ومشارك)، لجنة النشر بالرابطة العربية للإعلاميين العلميين، يناير ٢٠٠٨.

٥- تأملات قرآنية في الإصلاح والنهضة، المركز الحضاري للدراسات المستقبلية بالقاهرة، يناير ٢٠٠٩.

٦- العمل الأهلي حياة الأمة.. تجربة الإمام محمد عبده، أغسطس ٢٠٠٩.

٧- دراسات تقديمية لكتابيّ: "طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد" لعبد الرحمن الكواكبي، و"الإسلام دين الفطرة" لعبد

العزيز جاويش، في إطار مشروع إعادة نشر تراث الفكر الإسلامي الحديث، مكتبة الإسكندرية.

٨- الحركة التعاونية.. الطاقة التنموية المهدرة، دار البشير، نوفمبر ٢٠٠٩.

٩- من سير صناع الحياة، دار البشير، ديسمبر ٢٠٠٩.

١٠-التعليم مشروع الأمة.. عبرة الماضي والحاضر وآفاق المستقبل، المركز الحضاري للدراسات المستقبلية بالقاهرة، يناير ٢٠١٠.

١١-العلوم والتكنولوجيا.. أفكار وتجارب في التغيير والنهضة، المركز الحضاري للدراسات المستقبلية بالقاهرة، فبراير ٢٠١٠.

١٢-تجارب إنسانية في التنمية والنهضة (تحت الطبع – دار البشير).

الفهـــــــرس

الفصل الأول

رحلة البحث عن الذات

الفصل الثاني

من البحث عن الذات إلى البحث عن المشروع